

كمال الإيمان

شرح أحاديث

هداية الزمان

للشيخ العالم العلامة محمد شعراني عارف

شرح وتعليق

محمد زكي أحمد رافعي

طبعة محققة مخرجة الأحاديث

نبذة

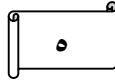
عن الشيخ محمد أنج شعرائي عارف

هو العالم الفاضل المحدث الكياهي الحاج محمد شعرائي بن الحاج محمد عارف بن الحاج محمد سماني بن الحاجة فتح الجنة بنت الشيخ عبد الله خطيب البنجري ولد عام ١٣٢٨هـ بقرية ملايو قرية من قرى مرتافورا بلدة من بلدة في بنجر كليمنتان الجنوبية جزيرة من جزائر إندونيسيا، ونشأ بها، وتعلم على علمائها بداية كالشيخ محمد كشف الأنوار ثم رحل الشيخ كشف الأنوار إلى مكة المكرمة مع الشيخ المترجم له والشيخ محمد شرواني عبدان بانجيل عام ١٣٥٠هـ فأخذ (المترجم له والشيخ محمد شرواني) عن علمائها بجد واجتهاد فنهاره مع الكتب وليله مع القلم إلى أن صار عالماً فحلاً فأذن له أن يدرس في الحرم المكي حوالي عام، ثم عاد إلى جاكرتا نهائياً عام ١٩٥٣م، ثم إلى مرتافورا عام ١٩٥٩م، فأعطى الشيخ عبد القادر حسن جدنا الثاني رئاسة إدارة المعهد الإسلامي دار السلام مرتافورا إلى الشيخ المترجم له من عام ١٩٥٩م إلى عام ١٩٦٩م.

من ضمن شيوخه بمكة المكرمة الشيخ علي بن الحسين المالكي، والشيخ سعيد اليماني، والشيخ عمر حمدان المحرسي، والشيخ السيد علوي المالكي، والشيخ السيد محمد

أمين كتي، والشيخ سليمان الداغستاني، والشيخ حسن المشاط، والشيخ المحدث عبد الباقي.

توفي رحمه الله بمرتا فوراً يوم الأربعاء ٣٠ يولي عام ١٩٦٩م الموافق ١٥ من جمادي الأولى ١٣٨٩هـ.



بسم الله الرحمن الرحيم

((مقدمة))

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً مباركاً من الحامدين والشاكرين، هو الذي أمرنا بتمسك كتابه المتين، ومتابعة سنة سيدي المرسلين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمين، الذي أنجانا باتباع سنن الخلفاء الراشدين، وحذرنا بمحدثات الأمور التي تضل إلى النار، ولبئس مثوى المبتدعين.

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، فنقول مستعينين بالله العظيم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حفظ عن أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً"^(١)، فهذا الحديث عمدة العلماء السابقين والحاضرين في كتابة أربعين من الأحاديث النبوية، ومن قلده عالماً لقي الله سالماً، فاقتديناهم تأسيّاً بما فيهم من اتصال وتأهل وخلفية أعز وأكرم أن يذكر اللهم إلا أن الأحاديث تكون بعد كمال الشرح لأحاديث آخر الزمان لشيخ شيخنا محمد أننج شعراني عارف، ويكون التعليق هو عبارة عن كلام الشيخ عبد الشكور^(٢) في مجلسه

(١) ذكره النووي في الأربعين.

(٢) وهو العالم الفقيه الجليل الشيخ عبد الشكور بن محمد بدرون بن طاهر البنجري عميد المعهد الثامن "دار السلام" سابقاً، وكان حضر في دروسه جمع من الكبار والصغار والخواص والعوام. أخذ الفقه والحديث عن

السنوي عند قبر شيخه المذكور، ونذكر معاني المفردات ودلالة الحديث في أشرط الساعة وبعض الفوائد في شتى العلوم والأحكام الفقهية تتعلق بالحديث شرحاً وافياً إن شاء الله، وقد أنصحنا لذلك أصحابنا في جامعة الأحقاف فلم يسعنا لقلة المدارك وضعف النية إلا أن القلب لا زال سائلاً من الله أن يشرح صدرنا لموافقة ما هو أنفع للأمة، فلما كثرت الدواعي من تطاول الزمان ولا أحد يشرح في الكتاب، وتوسيد الأمر لغير أهله، واقترب الساعة مع فراغ الأوقات، فناسب بما فيه من تضمنه بأحوال آخر الزمان من فساد وطغيان، فبدأنا تدريجياً من سنة ٢٠٠٨م مع كثرة الشواغل في كلية الشريعة إلى أن نتخرج ونجلس في المعهد المحبوب "دار السلام" مرتافورا الآن سنة ٢٠١٠م، فالمرجو ممن اطلع على واضح وخفي الزلة أن ينظر ويصلحه بعد إمعان النظر طلباً للفهم الصحيح. وعسى الله أن يتوب علينا وعلى المسلمين ويصلح أحوالنا وأحوالهم وينفعنا به إنه بالإجابة جدير، وهو عالم قدير.

الشيخ محمد شعرائي عارف وغيره من علماء البلاد حتى صار فحلاً وفريداً في بلاده فقهاً وأصوله، وحديثاً ومصطلحه. وقد حضرنا دروسه والله الحمد في بيته ومدرسته وأجزنا جميع مروياته، توفي رحمه الله ونحن في حضرموت خلال سنة ٢٠٠٧م الموافق ٥ ربيع الأول ١٤٢٨.

خطة البحث

قبل كل شيء نقدم تمهيداً للكتاب نتحدث فيه عن الاصطلاحات وما يتعلق بالترتيب وما وضعناه في التعليق والشرح، ويكون البحث على الخطة التالية:

- تمهيد ثم مقدمة
- الحديث الأول، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثاني، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثالث، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الرابع، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الخامس، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السادس، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السابع، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثامن، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث التاسع، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث العاشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الحادي عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثاني عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثالث عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الرابع عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه

- الحديث الخامس عشر، المعنى العام، دلالة الحديث ما يستفاد منه
- الحديث السادس عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السابع عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثامن عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث التاسع عشر، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث العشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الحادي والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثاني والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثالث والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الرابع والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الخامس والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السادس والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السابع والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثامن والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث التاسع والعشرون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الحادي والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثاني والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثالث والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه

- الحديث الرابع والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الخامس والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السادس والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث السابع والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الثامن والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث التاسع والثلاثون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- الحديث الأربعون، المعنى العام، دلالة الحديث، ما يستفاد منه
- ملحق

((تمهيد))

ولنبين هنا الاصطلاحات في هذا البحث، وهو ما يأتي:

١. حيث نقول **شيخي** فهو الشيخ الفاضل الفقيه النبيل عبد الشكور البنجري.
٢. نبين أولاً بعد الحديث المعنى العام، ودلالة الحديث في أشرط الساعة، وما يستفاد من الأحكام والحكم وغيرها من الفوائد.
٣. وضعنا معاني المفردات في التعليق.
٤. وضعنا السورة ورقم الآية، وكذا التخريج للأحاديث في التعليق، لكن لم نهتم بحكمها من صحيح وضعيف؛ لأننا لسنا أهلاً لذلك.

((مقدمة))^(١)بسم الله الرحمن الرحيم^(٢)

الحمد لله بيده مقاليد الأمور، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور، مخرج أوليائه من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مخرج الخلائق من الديجور^(٣)، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا، ولم يغرهم بالله الغرور. أما بعد: فيقول أبو محمد سيبويه الراجي عفو ربه الغني الحاج محمد شعراني البنجري جنساً المرتفوري متوطناً: مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليهما سوى انشراح الصدر بنور البصيرة^(٤) ولا نقمة أعظم من النفاق والمعصية، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة^(٥).

(١) زدناها أي المقدمة لمناسبة المقام.

(٢) بدأ بها اقتداء بالقرآن الكريم، وخبر: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبت". اهـ شيخه.

(٣) أي الظلمة. اهـ شيخه.

(٤) بنور البصيرة أي العلم، فهو كالنور في الإضاءة والاهتداء من إضافة المشبه به إلى المشبه. اهـ شيخه.

(٥) ظلمة الجهالة أي الجهالة كالظلمة في الضلال.

فأحببت أن أجمع أربعين حديثاً عن أشراف^(١) الساعة ليكون تذكرة لي ولإخواني المؤمنين، وسميته "هداية الزمان" من أحاديث آخر الزمان، والله^(٢) أسأل التوفيق والأمان بجاه سيدنا محمد سيد ولد عدنان.

المؤلف...

(١) أي العلامة. اهـ شيعي.

(٢) تقديم المفعول يفيد التخصيص. اهـ شيعي.

الحديث الأول

عن عبد الله بن عمرو بن العاص^(١) رضي الله عنهما قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً"^(٢) ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق^(٣) عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"^(٤)، رواه البخاري^(٥).

المعنى العام

إن من أشراط الساعة أن أخذ الله تعالى العلم، وذلك بأن يقبض أرواح العلماء، فانتشر الجهل حتى يكون الرؤساء من الناس في الأرض جهالاً، فيفتون بدون علم فيأخذون الطريق ليس هو سبيل الله الذي يدعو علماءه بالحكمة والموعظة الحسنة، فالضلال ثم الضلال، وعليك النجاة ثم النجاة بالعلم.

(١) وهو الصحابي الجليل أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، أسلم قبل أبيه، وكان حافظاً للقرآن، واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب الأحاديث فأذن له، توفي رحمه الله بمكة سنة سبع وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وفيه خلاف. انظر "الاستيعاب في معرفة الأصحاب".

(٢) أي قبضاً.

(٣) بضم المثناة التحتية.

(٤) باب كيف يقبض العلم من كتاب الجامع الصحيح للبخاري (رقم : ١٠٠ : ج ١ ص ٥٣).

(٥) وهو الإمام محمد بن إسماعيل البخاري عالم وإمام في الحديث، له صحيح فيه قالوا: إنه أصح الكتب بعد القرآن، فكتابه نطقه صلى الله عليه وسلم بما لا يصدر عن الهوى، توفي رحمه الله (٢٥٦هـ).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة :

١. قبض العلم بقبض العلماء.

٢. رئاسة الجاهل.

٣. الفتوى بغير علم.

٤. كثرة ضلال الناس.

ما يستفاد منه

هل يلزم من أشراط الساعة تحريم ما يقع حينئذ ؟

من خلال الحديث نستفيد مثلاً أن رئاسة الجاهل من أشراط الساعة فهل يلزم من ذلك كونها محرمة ؟ وبالنسبة لقبض العلماء فهذا لا دخل فيه؛ لأن قبض الروح هو من اختصاص إرادة الله وقدرته فلا مناط بالأحكام الفقهية.

أما بالنسبة لرئاسة الجاهل فهذا مما يحتاج إلى البحوث والقيود فيما يتعلق بها، وباختصار شديد نقول : "إن تنصيب الجاهل للرئاسة في الدين نعني في القضاء مثلاً مما يدعو إلى حالة الضرورة بأن كان الجاهل هو أحسن الناس حينئذ"، وقد اطلعنا المنهاج للنووي^(١) فنجد أن منصب القضاء مثلاً لا بد من شرط العلم، ولا يتصور أبداً دخول الجاهل في القضاء؛ لأن هذه الرئاسة رئاسة علمية.

(١) وهو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني عالم كبير بحر في العلوم له تصانيف عديدة، فكتابه "المجموع" مرجع في الفقه المقارن إلا أنه لم يكمل، ومنهاجه متن جامع كامل لمختصر مسائل الفقه الشافعية،

بالرغم من بُعد الجاهل من هذا المنصب يمكن تصوير تنصيب الجاهل في منصب آخر، وسيأتي البحث^(١).

ولك أن تقول: إن كل مسألة يحتاج إلى الدليل، فإن وجد الدليل فالمسألة واضحة كالفتوى بغير علم؛ فإن الأحاديث صرحت بالنهي عن ذلك وكبر إثم فاعله. فإن كان الكلام من فتوى الجاهل مؤيداً بالدليل فلا يبعد قبوله.

هل يخص الإفتاء لعالم بلغ درجة الإفتاء ؟

يقول بعض المعاصرين: "إن المفتي الآن مجازي" يعنى به أن عصرنا هذا يكون المفتي اسماً لا درجة ولا مرتبة؛ لافتقار كثير من الشروط التي ضبطوها، وما هذه الشروط إلا أن تكون شروطاً للمجتهدين، وهم الآن في قلة العدد بل لا يوجد منهم إلا من كان مجتهداً متجزئاً في بعض المسائل.

إذا تبين ذلك فالمفتي ليس إلا من بلغ درجة الإفتاء بالشروط المضبوطة في كتب الأصول التي هي شروط لشخصية المجتهد، وما الآن إلا وجود الضرورة التي تجعل الفتوى ضعيفة؛ لصدوره من الذين لم يسلكوا سبل السلام.

وما الحل في ذلك؟

يدل تأليفه على اتساع علمه وشاع مصنفاته أكثر من اسمه، توفي رحمه الله بنوى ونسب إليها (٦٣١ - ٦٧٦هـ). انظر "الأعلام".

(١) في نفس الحديث بعنوان "تنصيب الجاهل".

نقول: قد قلنا بوجود المجتهد المتجزئ فإذا تحقق ذلك فاللجوء إليه فقط، ولا ينبغي للسائل إلا باستفتاء من هو أفقهم في بلاده؛ فإن القلب يميل إلى ما هو أحسن، وقد أمرنا صلى الله عليه وسلم باستفتاء قلوبنا عند وجود الداعي إليه.

كما أن الاجتهاد الجماعي هو طريق من طرق الفتوى التي أنشأها المعاصرون لمعالجة الواقعة في الأمة الإسلامية. وهو طريق جيد في جبر قلة من يتصدر أهلاً للفتوى شريطة أن يكونوا مستكملين لأقل شروط المفتين في زماننا الآن.

ولا يخفى أن الاجتهاد الجماعي قصير عن الإجماع الأصولي وإن توافقا في بعض الشروط؛ لأنه قد يكون عن بعض المتهدين وأهل الاختصاص بالمسألة، وقد تكون إحدى مصادره المذاهب المعتبرة، فهو عبارة عن مذهب معين أو رأي يتفق عليه بين عدد من المذاهب، ويترتب عليه أنه لا يعطي عنصر الإلزام، وقد لا يكون حجة على الجميع.

هل يترتب عليه جواز فتوى طلبة العلم اعتماداً بنصوص منقولة أو حفظهم؟

إذا لم يخص في عصرنا الإفتاء للمجتهدين، فقد خطر في بالنا أن فتوى طلبة العلم جائز ما دام الحكم المفتى به مما لا يصعب فهمه، وليس ذلك من فتوى الجهال، فالأمر كالدعوة إلى الله، وقد قال العلماء: لو علم رجل مسألة واحدة فهو من أهل العلم لذلك، فيجب عليه تعليمها لمن يحتاج ويستفتي عليه بخلاف ما إذا كان الأمر مما يصعب فهمه، فخطر الزلة في الفهم أبين من الفتوى، والله أعلم.

التجرؤ على الفقهاء السابقين

نشأ من الجهل كثرة ما يؤدي إلى المنكرات، ومنها تجرؤ بعضهم على الكلام في وضع الفقهاء المتقدمين، فليس ذلك أمراً لاعباً، لأنه قد يجر الكلام إلى التكفير، بل هو المشاهد بيننا وبين جماعة أخرى من الأمم الإسلامية. فالتجرؤ يتغلغل شيئاً فشيئاً إلى ما يشئت شملنا. والأحوط أننا لا نكفر من أي جماعة المسلمين ولا نعتقد أنهم يتدينون بما علمنا من فساد معتقداتهم ما دام الاتهام في دائرة الظنون والشكوك، فسداً للذريعة تقفل الأبواب بسبب الجهل من التجرؤ على العلماء خصوصاً وعلى المسلمين عموماً، وسيأتي البحث في الحديث الرابع عشر.

تكفير الناس والحكم بغير ما أنزل الله تعالى

أعنى به أن الجهل يحرك الناس على الحكم بغير ما أنزل الله، والدين عنده هو الإسلام، والحكم لا بد أن يتقيد بالشرعية الغراء، فلا حكم إلا بما أنزله عز وجل، وهذا في الأصل. وكيف ما نشاهد في بلداننا من المنكرات والمحكمة التي لا تحكم بالشرعية الإسلامية؟

ننظر أولاً إلى الآيات التي استشهدوا بها حتى لا يلفتنا أن قالوا بكفر أغلبية المسلمين. هذه الآيات هو قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧). فالرضا بقانون

الحكومة التي تخالف دين الله رضا بالكفر، والرضا بالكفر كفر، كالرضا بالمعصية معصية، فالنتيجة انتشار الضلالة والكفر في الأمم الإسلامية.

ثم رجعنا إلى سبب نزول الآية فنجد أن المعظم^(١) من العلماء ذهبوا إلى أن الآيات نزلت كلها في الكفار بل قال البعض: إن تقدير الآيات "من لم يحكم بما أنزل الله رداً للقرآن وجحداً للنبي صلى الله عليه وسلم". كما أن عموم الآيات ليست مرادة فلا يعمل بظاهر الآيات؛ لما تقدم من انتشار الكفر. فلا نحكم مباشرة على المسلمين في العالم بكفرهم، راجع المسألة.

تنصيب الإمام الجاهل

وردت نصوص منها "ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار"^(٢) فهذا نص في المسألة على عدم صحة تولية الجاهل. لكن حديث الباب صرح بأنه في حالة الضرورة؛ لأنه لم يبق عالم في العالم حتى جعلوا الجاهل رؤساء. فالتنصيب للضرورة، وإصدار الحكم مع الجهل محرم.

(١) انظر تفسير القرطبي.

(٢) أخرجه أبو داود.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة^(١) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح"^(٢) وتظهر الفتن ويكثر الهرج" قال: "يا رسول الله! أئِمُّ الهرج؟" قال: "القتل"^(٣)، رواه البخاري.

المعنى العام

لا يشعر الناس بذهاب الوقت ولا يمضي حول إلا جاء الحول التالي، ولا شهر إلا جاء الشهر التالي، ولا أسبوع إلا جاء الأسبوع التالي، ولا يوم إلا جاء اليوم التالي، وهكذا فيضيع العمل وينقص ولا يبالي الناس به، وقد شهدنا ذلك في نشاطاتنا. ولا يهم الناس إلا ما لأنفسهم ذخراً لحياته ولأولاده جيلاً بعد جيل، فهذا من مظاهر البخل عند الناس وشرط من أشراط الساعة. بالرغم من كثرة الفتن من أدنى الرتبة من الحكومة إلى

(١) وهو عبد الرحمن بن صخر أكثر رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، دعاه صلى الله عليه وسلم أن يحفظ ما سمع منه، فكان حافظاً متقناً قوياً، ومن حكمه أنه كان يقول بمعناه: أن العلم علماً، علم يأخذه الناس وينتشره انتفاعاً صحيحاً، وعلم لا ينتشر بل يكفيك أن تأخذه، وإذا أخذه منك كان فتنة عليك أو عليهم أو على الكل، توفي سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين، وفيه خلاف. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) أي يوضع في القلوب البخل مع الحرص.

(٣) قالوا: وما الهرج؟ قال: "القتل القتل" كما في صحيح البخاري المطبوع، باب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ (رقم ٦٠٣٧) (ج ٤ ص ٩٨)، ورواه في مواضع بالفاظ متقاربة.

أعلاها مرتبة، وتظهر الفتن بين من يتقارن اشتغاله، فالعلماء مع العلماء، والحكماء مع الحكماء، والتجار مع التجار، والفلاحون مع الفلاحين، وهكذا.

بعد أن كانت همة الناس لأنفسهم افتتنوا فيما بينهم حتى رموا بالقتل فيتقاتلون، فترتيب صيغ الحديث على حسب أحوال الناس، وإن شئت قلت: إنها من باب التلازم، فيلزم من قلة الوقت نقصان العمل، ومن نقصان العمل إلقاء الشح، ومن إلقاء الشح ظهور الفتن، ومن ظهور الفتن كثرة الهرج، وهو القتل الذي ينهي عمل الناس فليست للإنسان فرصة بعده إلا صدقة جارية، وولد صالح، وعلم نافع كما في الحديث المعروف.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تقارب الزمان.

٢. نقصان العمل.

٣. بخل الناس.

٤. ظهور الفتن.

٥. كثرة الهرج.

ما يستفاد منه

سبب نقصان العمل

تزيي الناس بزي ضعف الهمة وانكدار القلوب ونقض العهد بسبب اتباع الهوى، فقليل من الناس من يشكر لربه نعمته، والله سبحانه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم فأنزل تعالى عليهم ذرة من مظهر عذابه في تقارب الزمان ما لا يسعهم إلا الاشتغال للدنيا إلا إن هداه ربه للإيمان والعمل بما فيه، نسأل الله التوفيق إليه.

ضياع الحقوق الواجبة، ومنها الزكاة

ضياع الحقوق ليس معناه ألا يؤدي البعض ما لربه من واجب الزكاة فقط؛ فذاك واضح، لكن الحيل أخطر الأشياء من الناس مع ما لا يخفى من وعد شديد في الحيل كحديث: "إذا أراد الله أن يزيغ عبداً أعمى عليه الحيل" ^(١)، وقد استدل الإمام البخاري بحديث: "إنما الأعمال بالنيات" ^(٢) في إبطال الحيل، ولا شك أن القول بكراهة التحريم في حيل يترتب عليها تفويت الحقوق والواجبات أقرب، فإن للنية شأنًا، ألا ترى أنها تدخل في أكثر من سبعين باباً كما قيل به، وأن الذبح لله حلال، والذبح لغير الله حرام، والصورة واحدة، والحكم مختلف. فكل حيل قصد بها تحليل ما حرمه الله أو تحريم ما أحله فهو حرام.

كثرة الظلم، ومنه القتل

لو عملوا بما انطوي في الكتاب والسنة لقلت الحوادث، وما تقدم من نقصان العمل وضياع الحقوق واهتمام الناس لأنفسهم يدعو إلى كثرة التظالم والتقاتل، تشهد لذلك الصحف والمجلات والتلفزيونات والإذاعات. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كتب عليكم

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، قال الهيثمي: فيه محمد بن عيسى الطرسوسي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري.

القصاص في القتل ﴿البقرة : ١٧٨﴾، فهل القصاص يجري في كل بلدان المسلمين؟ نقول: لا نشهد ذلك إلا قليلاً حتى المسلمون لا يطبقون الشريعة بكل قوانينها، ألا ترى البلاد التي تدّعي بأن المصدر الأصلي عندهم هي الشريعة الغراء جوزوا بعض الأحكام الربوية، فما بالك بالبلدان الذي يدعي الديمقراطية، لماذا نحن المسلمين لا نتحرك ساكنين؟، وما الذي لا نفقه كثيراً في حياتنا؟

فالفقه هو العلم فليس الظن والشك والتوهم منه، فكثيراً ما لا نفقه الأولويات في العمل، ولو نأخذ عبارة الإمام الغزالي لقلنا: لا نفهم ماذا نقدم من الأهم فالأهم. انظر إلى الواقع الذي يلفت أنظار الناس، فما هو إلا الحديث عن نجوم الأفلام، وأصحاب الغناء، ولاعبى الكرة حتى الذين ينتسبون إلى الدين فما يهمهم إلا المسائل الخلافية، ويغفلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومتى يبحثون الأمور التي تحت على تطبيق الشريعة الإسلامية ؟ فليتهم يطبقونها بل هم نقدوها واعتبروها مناقضاً للحرر الذي عظموه، وينسون عظمة دين الله الأعلى ولا يعلى عليه، ويكفي كدليل لنسيانهم عدم تطبيق قطع اليد للراشي والمرتشي، نسأل العافية والسلامة.

الحديث الثالث

عن سهل بن سعد الساعدي^(١) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم لا يدركني زمان أو^(٢) لا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم ولا يستحي فيه من الحليم قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب"^(٣)، رواه أحمد^(٤).

المعنى العام

هذه جملة دعائية من الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بها في عصره ألا يدرك زماناً ليس للعلماء ميزان، ولا للحليم قيمة، ولا يعقل الناس أن النظر إلى قلوبهم، وقلوبهم أعمى، ويتكلمون ما شاء الله لا يدرك حقائق كلامهم إلا الله، فيتبع متبعوهم بلا جدال مع خبث قلوب متبعوهم.

(١) وهو أبو مالك سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي، غير اسمه النبي صلى الله عليه وسلم إلى سهل، توفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وتوفي رحمه الله سنة إحدى وتسعين. انظر الإصابة في معرفة الصحابة.

(٢) وفي نسخة مسند أحمد - مطبعة دار الحديث - "ولا تدركوا" بالواو.

(٣) رواه أحمد في مسنده (رقم: ٢٢٧٧٧) (ج ١٦ ص ٤٥٤).

(٤) وهو الإمام مجتهد الأمة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي نسب إليه مذهب الحنابلة، وهو فقيه محدث، لسانه ميزان رجال الحديث، مسنده عبارة عن مذهبه الفقهي، أكثر أصحابه في روايات مسألة واحدة لما حفظ من أحاديث الأحكام، ولد سنة أربع وستين ومائة وتوفي رحمه الله في رجب يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين. انظر "طبقات الفقهاء".

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. عدم متابعة العالم.
٢. لا حياء من الناس مع وجود الحليم.
٣. كثرة الخطباء الجاهل.

ما يستفاد منه

الحياء شعبة من الإيمان

هذا لفظ الحديث المشهور تداولت عليه ألسنة الناس، وصحيح ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإنه ضاعت الأمانة آخر الزمان، فلا يختار الناس الرئاسة إلا لمن توفرت عليه المادية غالباً، وينقص إيمانهم ولا يستحيون ممن لهم الحياء وهو دليل على الإيمان، فضياع الأمانة وضعف الإيمان جعلهم لا يستحيون من الحليم.

وكانت إحدى الطرق التي يختارها بعض العلماء للدعوة إلى الله عز وجل أن قدموا للناس لسان الحال وهو أفصح من لسان المقال، فتخلقوا بخلق حسن، فكان دأبهم حلمهم، ولا ينفعهم ذلك إن أدركوا زماناً لم يتبع فيه العالم ولا يستحي فيه من الحليم.

كثرة الخطباء

نتساءل أولاً عمن هو الداعي إلى الله جل وعلا؟ حينما نتصور سنقول: إنه الذي يقوم على المنبر ويخطب، أو إنه الذي يتجول في القرى والبوادي ويتكلم نصيحاً للناس،

أو إنه يجلس في جلسته الخاصة مع جماعته، وهذا ما يفهمه كثير من الناس، فمن هنا نحتاج إلى إبراز حقيقة الداعي.

فما حقيقته أهو العالم الفقيه أم الرجل العابد أم الخطيب البلاغي أم غيرهم من الولاة والحكام؟ إن الدعوة أمر أمره الله عباده كلهم فما الداعي إلا عبد من عباده تعالى، قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل : ١٢٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية"^(١)، فهذان أصلان للدعوة.

ولا يدع الرسول صلى الله عليه وسلم مالا ولا درهماً بل ترك صلى الله عليه وسلم لأئمة علماء نافعا للناس، ولا نفع إلا بنشره، وإن قال قائل: "كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون"، أفلا ندعو خوفاً من القول بلا عمل، نجيب بأن من العمل أن تنشر العلم لغيرك، ولا شك أن الذي لا يعلم ولا يعمل أكبر مقتاً من الذي يعلم ولا يعمل، وقد قلنا: بأن الدعوة من العمل بالعلم، وما لا يدرك كله لا يترك كله.

فالمقت عند الله لمن يقولون وينوون مناقض المعروف كما في الحديث الصحيح : "يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر، قال : كنت آمركم بالمعروف، ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية"^(٢)، فهذا مخصص للآية، وهو الذي ينوى مناقضاً للمعروف.

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه البخاري.

ولا ريب أن اشتغال الرسل بالشيء؛ لأن ذلك هو أفضل الأعمال، وهذا الشيء في عصرنا هو إبلاغ الرسالة المحمدية، فمن الذي يسعى لأفضل الأعمال الآن؟ أما سمعت قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل بلغت"^(١)، فمن يبلغه الآن؟ أليس قال تعالى في محكم كتابه: "فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان..." الآية (الأحزاب : ٧٢) فمن يتحملها الآن؟ نحن المسلمون أجمع ليس إلا، فكل واحد مسؤول عن رعيته، فالأب مسؤول عن أبنائه، ومسؤول القرى مسؤول عن قريته، ورئيس المديرية مسؤول عن رعيته، والمحافظ مسؤول عن رعيته.

لكن لا تغرن الناس كثرة الخطباء؛ فإن حقيقة الداعي هو الذي ملأ قلبه بهم وهمة ومهمة جمع الخلق لعبادة خالقه، فليس كل متكلم داعياً، بل الداعي هو الذي يقوم لدين الله مخلصاً، ألا لله الدين الخالص، فالعمل كالصفر إن ازداد يزداد ولا قيمة للأصفر، والإخلاص كالرقم الواحد فيكفي أن تضيفه أمام الأصفر، فكلما ازدادت الأصفر ازدادت قيمتها بالإخلاص، عسى أن يرزقناه الله في طلب العلم ونشره والعمل وجميع الطاعات.

(١) أخرجه البخاري.

الحديث الرابع

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنأدى مناديه^(١) الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إنه لم يكن نبي^(٢) إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه تجعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها، وتجيء فتن يتلو بعضها بعضاً^(٣)، وتجيء فتنة فيقول : "هذه تهلكني"^(٤)، ثم تنكشف، وتجيء فتنة فيقول : "هذه هذه"، فمن أحب أن يرحل^(٥) عن النار ويدخل الجنة فلتأته فتنة^(٦) وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس بالذي يحب^(٧) أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه بصفقة يده^(٨) وثمره قلبه^(٩) فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر"، وكان عبد الله بن عمرو

(١) "إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم" كما في صحيح مسلم المطبوع.

(٢) "نبي قبلي" كما في صحيح مسلم المطبوع.

(٣) قال النووي : رويت أوجهاً الأولى : فيُرَقَّق أي تصير الفتنة الأولى رقيقاً أي خفيفاً لعظم ما بعده، والثانية :

فيُرَفَّق بمعنى الأول، والثالثة : فيَدْفَق أي يدفع ويصب، ولم يذكر "فيتلو" ولعل ما في المتن رواية بالمعنى.

(٤) "فيقول المؤمن : "هذه مهلكتي" كما في صحيح مسلم المطبوع.

(٥) أي يبعد.

(٦) أي "منيته" كما في صحيح مسلم المطبوع.

(٧) "الذي يحب" كما في صحيح مسلم المطبوع بدون الباء.

(٨) "صفقة يده" كما في صحيح مسلم المطبوع بدون الباء.

(٩) كناية عن الإخلاص والتزام العهد.

يقول : "أطعه -يعني السلطان^(١) - في طاعة الله واعصه في معصية الله"^(٢)، رواه مسلم^(٣).

المعنى العام

تحدث صلى الله عليه وسلم في بعض سفره بأن واجب الإمام كالنبي وورثته أن يدل لأئمة على خير، وأن خيرية أئمة تكون في أولها، وسيقع على أئمة ما يزلزل قلوبهم من البلاء والمصائب والفتن يتلو تلو الآخر.

فأعطى صلى الله عليه وسلم المخرج لذلك ليدركوا الغاية وهو رضا رب العالمين بأن يبعدهم الله من النار، ويدخلهم الجنة مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ألا وهو استقامة الإيمان بالله واليوم الآخر مع شدة البلاء، ثم يعطي كل ذي حق حقه فلا يأتي للناس إلا ما هو محبوب عندهم، وإن وُلِّيَ إمام فليبايعه وليطعه بقدر استطاعته، ولا ينازعه باتباع الإمام الباغي، بل عليه أن يطيع سلطانه ما دام في طاعة الله ورسوله لا في معصيته.

(١) أي معاوية لما أمر بأكل أموالنا بيننا بالباطل كما في صحيح مسلم المطبوع.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (رقم : ١٨٤٤) (ج ٢ ص ٢ ٨٩٤-٨٩٥).

(٣) وهو الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري عالم في الحديث شرط في صحيحه أن يكون رجاله في عصر واحد، فهو الكتاب الثاني في الصحة بعد البخاري، توفي (٢٠٤ - ٢٦١هـ). انظر "الأعلام".

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. نزول البلاء والأمور المنكرة.

٢. فتن متوالية.

ما يستفاد منه

الدلالة على الخير كفاعله

ليس الحق على أحد إلا لأجل مصلحته، فالحق على العالم في إفادة الناس لما له في ذلك من الأجر من غير أن ينقص من أجور تابعيهم شيء، فالحديث إن دل على شيء فإنما يدل على أحقية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بأن أهمله الناس ببحث المسائل الخلافية أو العبادات الفردية طمعاً للشهرة أو الأموال أو الجاه.

يعود الإسلام غريباً

كما بدأ غريباً فسيعود غريباً، فالعافية هو عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم لحديث: "خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^(١). وكان الإسلام حينما يبدأ اتبعه الأقلون من الفقراء والضعفاء إلى أن رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، ثم يأتي أمر الله بأشراتها من فتن وبلاء وضيق، ليس في المعيشة والحياة فقط بل الفتن انتشرت في العقيدة وفي غيرها من الشؤون والأحوال، يشهد لذلك ادعاء النبوة مع ظهور المبدأ "خاتم النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم".

(١) أخرجه البزار.

الإيمان في حالة الفتن

واصبر صبراً جميلاً هي النصيحة لكل من وقعت عليه الفتن متوالية، تطرق البحث في الإيمان مع كثرة الفتن إلى الإكراه في الدين. قبل ذلك نقول بأن الإيمان لا بد منه في أي عصر، وفي أي مكان وفي كل أحوال إلا أن الإيمان قد يزيد وينقص بل قد أكره المؤمن بالكفر، وهو أشد الفتن عليهم، فما الحكم حينئذ؟

قد قلنا: الإيمان واجب الإنسان، إلا في حالة الإكراه فيجوز النطق بكلمة الكفر ما دام مضطراً، فقد قال تعالى: ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ (البقرة : ٢٥٦) ^(١).

خصال الإيمان

وضّح الحديث بأن أهم خصاله نوعان هما الإيمان بالله وباليوم الآخر، فمن آمن بالله فقد آمن بما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مجملاً، أما الإيمان بالملائكة فليس من الأولويات في العقيدة؛ لأنهم خلق من خلق الله كالإيمان بالكتب المنزلة، فإنها لا ينزلها الله على بعض رسله. وكذا الإيمان بالرسل؛ فإن بعض الأمم السابقة ليست لهم معرفة بالرسل المتأخرين. لكن لا بد لكل مؤمن أن يؤمن بيوم قضي فيه الأمر لما فيه من التذكير، فالمسلم لا يعتقد جازماً باليوم الآخر، والدليل عليه كثرة المخالفات والمعاصي مما يدل على أن الناس لا يجزمون بالعذاب الأليم والوعيد الشديد يوم لا يتذكر الإنسان إلا ما سعى. من هنا يقصر الاقتران بين أمرين في عشرين موضعاً في القرآن الكريم. وقد علمت من وجوب اعتقاد أركان الإيمان الخمس.

(١) قال في الحاوي الكبير: "ما لا يصح مع الإكراه ولا يتعلق به حكم، فهو الإكراه على الكفر".

من دان فسيدان

أخذنا المثل من قوله تعالى : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن : ٦٠)، وإذا تقرب العبد إليه تعالى بشير تقرب تعالى إليه بذراع وهكذا، فمن أحب أن يأتي للناس بخير فسيجازونه بما أحب، وإن شاء الله عذب عباده، وإن شاء أنعمهم، إلا أن فضله واسع، ولا يخلف الوعد، فالخير من الناس بعضهم بعضاً لهم في الدنيا والأخرى بوعده تعالى.

التصويت للرئاسة

بعد أن اختير الإمام أخذ الناس صفقة اليد للمبايعة والإخلاص بالتزامه، فالمبايعة والإخلاص يتلوان التصويت العام الشعبي، ولا يتكلم الحديث عن أي نوع من أنواع الاختيار والمبايعة للرئيس. ويمكن أن نستشهد بالحديث عن اختيار الناس مباشرة الإمام، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد دل على شخصية الرئيس من الإيمان بالله واليوم الآخر والإتيان بما أحبه الناس، ولا يتصف به إلا من كان ذا فقه وعلم ورأي وفضل، فأعطى للناس حرية في الاختيار.

طاعة الإمام

قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم... الآية﴾ (النساء : ٥٩) بقطع النظر عن تفسير أولى الأمر بأنهم العلماء فإننا سنقول : أن أولى الأمر لا بد أن يكونوا العلماء في أمور الدولة.

بعد صحة المبايعة والتولية تدرج الأمر إلى طاعة الإمام، وهو أمر لازم بينته الآية الآنفة الذكر، والأحاديث الكثيرة، ولنقل الآن : فما حدود الطاعة ؟ فهي واضحة ما دام في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله فهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم هنا: "إن استطاع".

الخروج على الإمام

يأتي الموضوع الثاني في حكم البغاة، فمن قام بضد الإمام، وقد صحت المبايعة فقد بغى على الإمام. ثم تكلم حديث الباب في حالة القتال فأرشدنا إلى ضرب عنق البغاة، فهذا كناية عن القتل إلا أنه مقيد بكون الباغي مصرّاً على قتالنا، فمن أدبر أو رجع إلى الطاعة أو كان جريحاً فلا يقتل؛ لأن الحكم يدور مع العلة.

لا ينزل الإمام بالفسق

قد قلنا إن طاعة الإمام في طاعة الله عز وجل ورسوله لا في معصيته وقد قال به ابن عمرو من الصحابة، ولنفهم من ذلك أن ولايته غير معزولة به للمصالح الكلية، وقد نصوا على ذلك بل حكى بعضهم فيه الإجماع واستدلوا بحديث: "صلوا خلف كل بر وفاجر"، وقالوا: إذا دعت ضرورة إلى تنصيب الإمام تعين تولية أقل الناس فسقاً، ولناخذ أخف الضررين كما هي القاعدة.

الحديث الخامس

وعن علي^(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة، وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم^(٢) السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود"^(٣)، رواه البيهقي^(٤).

المعنى العام

ورد الحديث في أشراط الساعة على سننها من اقتراب الساعة والفتن والمفاسد فتكلم عن الإسلام حينئذ بأن الأهم من صاحبه هو دين الإسلام في بطاقته، وعن القرآن بأنه لم يوضع للقراءة والتفكير في معانيه والتعلم في علومه والاستنباط لمفاهيمه، ولكنه وضع للزينة أو ليقال: إن في بيته قرآناً، فيخرب المسجد من الهدى والرحمة،

(١) وهو الخليفة الرابع علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي زوج بنت الرسول صلى الله عليه وسلم البتول، نسبت إليه ذريته صلى الله عليه وسلم توفي (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ). انظر الأعلام.

(٢) أي ظاهر.

(٣) رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان (رقم: ١٧٦٣) (ج ٣ ص ٣١٧-٣١٨).

(٤) وهو أحمد بن الحسين بن علي البيهقي إمام في الحديث، ولد في خسروجرد (بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة) من قرى بيهق بلدة بنيسابور، ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد، ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، توفي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ). انظر "الأعلام".

والعلماء هم الذين يفسدون الأرض تخرج الفتن منهم وتعود إليهم، والله يحفظنا من هذه الفتن.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. المسلم البطاقي.
٢. القرآن الرسمي.
٣. المساجد عامرة بعيدة عن الهدى.
٤. العلماء الأشرار.
٥. خروج الفتن من المتدينين.

ما يستفاد منه

لا يصل القرآن إلى قلوبهم

كان من معجزات القرآن هو التفكير والتدبر الذي ينتج الإيمان واليقين، ونتأمل قوة إيمان الأمم السابقة على اختلاف مراتبهم فنقارنها بإيماننا، ونتذكر الصحابة في الآيات فهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فهل لنا من شيء على اختلاف طبقاتهم؟ ألا تنظر سنية الخشوع في الصلاة بل قال البعض: بوجوبه، فهل هذا إلا بالقراءة الخاشعة المتدبرة المتفكرة التي إذا ذكر الله فيها وجلت قلوبهم وإذا تليت آياته زادتهم إيماناً وتصديقاً برب البرية، فأين هذه القراءة الممتعة؟ فوالعصر إنا نتفقد الآن العلماء بالله عز وجل الذين أوصلوا القرآن إلى قلوبنا، فنسأله تعالى السلامة والعافية.

بناء المسجد مؤسس على أسس التقوى

ليس لنا في هذا الموضوع ذكر لشخص من الأشخاص بل الكلام عام نتواصوا فيما بيننا بالمعروف كما نتواصوا بالصبر، فالمسجد إنما أسس على التقوى، فهذه أهمية ما بني وفقاً لمكان سجود الناس، ثم ننصح من باب الاحتياط أن نبعد عن المساجد وأرضها الموقوفة لها المسائل الخلافية أعني إقامة البرامج الإسلامية المختلفة أو الممزوجة بالمحرّمات، على سبيل المثال المسابقة لتلاوة القرآن وضرب الدفوف^(١)، أما استعمال آلات اللهو فلا نزاع عندي في تحريمها.

بعد أن نعرف أهمية المساجد فلا نفرط في توجيهها إلى أمور السياسة بأن نتحدث فيه لجمع أصوات الناس، فهذا أشد من تحريم البيوع الجائزة في خارجها، ولنتعرف بأن السياسة كالنار فلا أحد يقترب إلا احترق، ولنبعدا عما هو بعيد عن الهوى والشهوة المذمومة.

^(١) ولست ممن حرم ضرب الدفوف في المسجد، والذي يظهر لي أن من فعله لا بأس به.

علماء الشر

ولنتحدث الآن عما يقوله أهل الصفة من فتن العلماء مظهراً لا حقيقة، فالمطلوب هي الميزانية بين الخير والشر في كلامهم، وأن يكون العامي حذيقاً فطناً في فهم دقائق ومشتبهات كلامهم، وأن ينقد ما يتبادر في ذهنه أن الصحيح خلافه. ويمكن أن نستحسن بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ (الحجرات : ٦)، وإذا اطلعنا الأصول قلنا: إن الحكم يدور مع العلة وجوداً عدماً، فسبب التبين والتثبت هو مظان الكذب من شخص فاسق، فكذلك كل الناس إذا أثبتنا خطأه، فلنا أن نبرز الحق، وليس هذا من التجرؤ السالف الذكر المذموم.

الحديث السادس

عن ابن مسعود^(١) رضي الله عنه قال: "قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تعلموا العلم وعلموه الناس تعلموا الفرائض وعلموها الناس تعلموا القرآن وعلموه الناس؛ فإني امرؤ مقبوض، والعلم سينقبض"^(٢) وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحداً يفصل^(٣) بينهما"^(٤)، رواه الدارمي^(٥).

المعنى العام

أخبر صلى الله عليه وسلم بانتزاع العلوم جملة وتفصيلاً، فأول كل شيء قبض علمائهم، وبهذا السبب ظهرت الفتن، فلا يجد الناس من يحكم بينهم في أمور دينهم.

(١) وهو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي صاحب السواد والسواك والنعال ، أسلم لما رآ معجزته صلى الله عليه وسلم في شاة درت لبناً غزيراً حينما أخذه صلى الله عليه وسلم، ورجلا عبد الله في الميزان أثقل من أحد كما قال به المصطفى، توفي رحمه الله بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. انظر الإصابة في معرفة الصحابة.

(٢) "سينقص" كما في سنن الدارمي المطبوعة.

(٣) أي يبين اه شيخه.

(٤) رواه الدارمي في مسنده باب الاقتداء بالعلماء (رقم : ٢٢٧) (ج ١ ص ٢٩٨).

(٥) وهو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي حافظ الحديث سمع بالحجاز والشام ومصر والعراق وخراسان من خلق كثير (١٨١ - ٢٥٥ هـ). الأعلام.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. قبض علوم الفرائض والقرآن.

٢. قبض النبي صلى الله عليه وسلم.

٣. ظهور الفتن.

٤. قبض العلماء.

ما يستفاد منه

نقصان العلم

الدليل الواضح على ذلك قلة مجتهدي الأمة، فكم من مجتهد في عصر الصحابة أو التابعين أو تابع التابعين؟ فمن نجد من المجتهدين اليوم؟ وحتى لو ادعى واحد اعترضه الناس، ومن حيث التأليف فكتب السابقين أوفر وأحق أن تحمد، فلو رأينا الانقلاب من عصر إلى عصر لوضح نقص المعاصرين، ولولا السابقون لما نتهدي إلى ما هو أوسع في ظننا، انظر إلى أصول الفقه، فقواعدها ثابتة، وأسسها مستمرة، لا أحد يجتهد الآن في وضعها إلا وقد سبقها القدماء تأسيساً.

أهمية الفرائض والقرآن

ومما وقع في الإندونيسيا بل في العالم رفض فرائض الله في الإرث، كأن تزوج الرجل بالثانية سرّياً فبعد أن مات الزوج طلبت الثانية الإرث من الورثة المعروفين عند الناس، وأثبتت البينة على أنها زوجته، فما المانع من إعطاء حقها إلا الغضب للشهوة، فالحديث

بين لنا أهمية الفرائض وحث على تعلمها لكي نطبق أحكامها ولا نفرّ إلى ما يدعوه اللبراليون من التسوية بين الجنسين.

وحت صلى الله عليه وسلم على تعلم القرآن؛ لأنه مصدر من مصادر الشريعة الإسلامية، فلو تعطل الناس من القرآن وأهملوه لأدى إلى تعطل أحكام الشريعة وهي واجبة التطبيق. فليس المراد بالقرآن القراءة فقط بل يعم علومه على اختلاف أنواعها.

أعظم المصيبة وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

تكلم العلماء منذ قديم أن أول أشرط الساعة هو قبض أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام؛ فإنه تحدث مع صحابته وقال: "بعثت أنا والساعة كهاتين"^(١)، فنسبة ما بين نبوته والساعة مدة قليلة كما بين السبابة والوسطى. ثم إنه صلى الله عليه وسلم بيّن في الأحاديث الكثيرة أن من اقتراب الساعة موت العالم، وهو أكبر المصائب على المسلمين، ومن لم يحزن بموت العالم فهو منافق، فصح أن نقول إن قبض أعلم العلماء أعظم وأكبر المصائب.

(١) أي يبين اه شيخه.

أول علم ينزع من الدنيا

نستفيد من تخصيصه صلى الله عليه وسلم الفرائض والقرآن أولويتيهما وأنهما أول علم ينزعه الله عز وجل من الأرض، ولو استدللنا بحديث آخر^(١) لقلنا: إن الفرائض أول علم مقبوض من الأرض.

^(١) وهو حديث: "تعلموا الفرائض وعلموها فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء ينزع من أمتي". رواه ابن ماجه.

الحديث السابع

عن حذيفة^(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُدرس^(٢) الإسلام كما يدرس وشي^(٣) الثوب حتى لا يُدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولْيُسرى^(٤) على كتاب الله في ليلة فلا يبقى من الأرض^(٥) منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز يقولون: "أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله" فنحن نقولها فقال له صلة^(٦): ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرّون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: "يا صلة! تنجيهم من النار"^(٧) ثلاثاً^(٨) رواه ابن ماجه^(٩).

(١) وهو حذيفة ابن اليمان (واسم أبيه سحيل) صاحب سر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد سئل عن أي الفتن أشد فقال: "أن يعرض عليك الخير والشر، ولا تدري أيهما تركب"، توفي رحمه الله سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان في أول خلافة علي. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب

(٢) أي ينمحي ويخلق ويذهب آثاره.

(٣) والوشي في الأصل خلط لون بلون أي نقش ولون الثياب.

(٤) يمشي الناس ليجد من يتلو القرآن فلا يلتقون به.

(٥) أي في الأرض كما في سنن ابن ماجه المطبوعة.

(٦) أي فقال صلة بن زفر أحد الحاضرين لحذيفة. اهـ شيخي.

(٧) فسؤال صلة لتعجبه باكتفاء مجرد كلمة التهليل حينئذ، فأجاب حذيفة بما يتضمن الاستنباط بحديث: "من قال في آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".

(٨) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب ذهاب القرآن والعلم (رقم: ٤٠٤٩) (ج ٤ ص ٣٨٤).

المعنى العام

وهو معنى ما بيناه من قوله صلى الله عليه وسلم: "الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ"^(٢)، ولينزعن الله القرآن من صدور الناس، فنتيجة قلة العلم والعمل لا يدرون ما واظفيتهم لله عز وجل في هذه الحياة؟ فهم يتعبدون على غير علم، ويتعاملون فيما بينهم ثم يسألون الحكم فيتحيرون فيما قيل عن عملهم، وقالوا: هي سنن آبائنا، ولا يأتينا الخير والسعادة إلا من اطمئنان قلوبنا بقول لا إله إلا الله الناجية من عذاب السعير أو الخلود فيه.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. اندراس الفقه
٢. ذهاب القرآن
٣. نجاة الناس وانتفاعهم بالتهليل

ما يستفاد منه

نقصان العلم والعمل تقدم البحث في الحديث الخامس.

(١) وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربيعي القزويني أحد الأئمة في علم الحديث، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث، له "سنن ابن ماجه" أحد الكتب الستة المعتمدة، توفي رحمه الله (٢٠٩ هـ - ٢٧٣ هـ). انظر الأعلام.

(٢) أخرجه الترمذي.

رفع القرآن من ظهر القلب والرسم دليل حفظه

نستنبط منه أن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير مؤداهما التناقض والتخالف بدليل رفعه عن ظهر قلب آخر الزمان، فدل على بقاءه محفوظاً مصوناً حينئذ. فقد زعم المتهمون تحريف القرآن الكريم ابتداءً من كتابة عثمان، وتحريقه للمصاحف، وما أسند من الروايات التي تدل على اختلافات وحذف بعض الآيات فما الجواب عنها؟

فنحن نؤمن أولاً بأن القرآن ذكر وإن الله لحافظه إذ قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر : ٩)، وأن الأحاديث الكثيرة تحدثت بأنه يكون رفع القرآن آخر الزمان فقد سماه الله تعالى قرآناً فدل على بقاءه قبل رفعه من ظهر قلب حفظاً ورسمًا، ولولا كذلك لأخطأ صلى الله عليه وسلم في خبره، وهو معصوم من الخطأ.

علماً بأن عثمان رضي الله عنه أخذ القرآن مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمر بتحريق المصاحف خوفاً من اختلاف وجدال بالهوى بين المسلمين الذين أعجم كثير منهم في العالم، فله الحمد على هذه النعمة، وأن معه جمّاً غفيراً من الصحابة، فكتابة القرآن وجمع الناس على مصحف واحد متواتر كما هو تعريفه بأنه كلام الله المنزل عليه صلى الله عليه وسلم المنقول متواتراً المعجز بأقل سورة منه.

وبهذا التواتر نسد الباب على نزاع المتهمين بالروايات المخالفة؛ لأن كل الروايات مردودة ولا تصل إلى التواتر المشترك في نقل القرآن.

التقليد الأعمى وقدر لا إله إلا الله

استفدنا من حديث الباب انحاء علوم الفقه وأصحابها فهم لا يفقهون متعبدهم ويقلدون ما شأؤوا، ولولا أدركوا آباهم لما تمسكوا بهذا الدين، ولولا فضل لا إله إلا الله لما اطمئنت قلوبهم، هذا في الدنيا، أما بالنسبة في الأخرى فقد تعلق بهم العذاب، ولا ريب، ثم إن شاء عذبه بعدله، وإن شاء عفاه بفضله.

الحديث الثامن

عن أنس بن مالك^(١) رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب^(٢) الخمر ويكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيم^(٣) واحد"^(٤)، رواه الترمذي^(٥).

المعنى العام

تحدث صلى الله عليه وسلم عن أشراط الساعة بأنه سيرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر حتى يكثر النساء على الرجال، فيقوم واحد منهم لخمسين نساء.

(١) وهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر سنة، توفي رحمه الله (١٠ ق هـ - ٩٣ هـ). انظر الأعلام.

(٢) "وتشرب" بالتاء كما في سنن الترمذي المطبوعة.

(٣) أي رجل. اهـ شيخه.

(٤) رواه الترمذي في جامع الصحيح كتاب الفتن باب ما جاء في أشراط الساعة (رقم : ٢٢٠٥) (ج ٤ ص ٤٩١).

(٥) وهو الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي له "الجامع الكبير"، و"سنن الترمذي"، و"الشمال المحمدية" وغيرها، وتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، توفي رحمه الله (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ). انظر الأعلام.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. رفع العلم.
٢. ظهور الجهل.
٣. فشو الزنا.
٤. علانية شرب الخمر.
٥. كثرة النساء مع قلة الرجال.

ما يستفاد منه

الزنا أمام الطريق

لقد انتشر الزنا لا في المكان المخفي بل أعلنه آخر الزمان، والدليل عليه ما شاهدته في التلفزيون من الأفلام الفاحشة بداية من المعانقة والقبلة والخلوة إلى غير ذلك مما يقرب إلى الزنا، وقد نهاه سبحانه في قوله ﴿ولا تقربوا الزنا...﴾ (الإسراء : ٣٢)^(١).

^(١) فالمحرمات من غير الزنا مفهوم دلالة التزامياً، فالنهي عن القرب يعم سائر المحرمات المقربة إلى الزنا بهذه الدلالة.

قلة الرجال وكثرة النساء

هذا واقعنا في العالم كله، وإن شئتَ الضبط فانظر في كشف أسماء الإندونيسين، فستجد من النساء ضعافاً من الرجال، وما يهمنا الآن بالموضوع؟ فهل يتعلق شيء من الأحكام؟ فإذا استنبطت جواز الولاية أو الرئاسة للنساء فلا دلالة لا نطقاً ولا مفهوماً ولا صراحة ولا دلالة؛ لأن الحديث مجرد عن الإنشاء بل هو خبر محض عما يقع آخر الزمان.

الحديث التاسع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من هرب بدينه من شاهق إلى شاهق^(١)، ومن جحر إلى جحر، فإن كان ذلك كذلك لم تُنل المعيشة إلا بسخط الله^(٢)، فإذا كان ذلك كذلك كان هلاك الرجل على يدي زوجته وولده، فإذا^(٣) لم يكن له زوجة ولا ولد كان هلاكه على يدي أبويه، فإن^(٤) لم يكن له أبوان كان هلاكه على يدي قرابته أو الجيران"، قالوا: "كيف ذلك يا رسول الله" قال: "يعيرونه بضيق المعيشة فعند ذلك يورد^(٥) نفسه الموارد التي يهلك^(٦) فيها نفسه"، رواه البيهقي^(٧).

المعنى العام

تحدث صلى الله عليه وسلم عن الفقر وهو السبب الرئيسي في هلاك ذي الدين، ووضح أن الأسلم له يومئذ هو الهرب لأجل سلامة الدين من الفتن، فضاقت على الناس

(١) أي المرتفع من المكان كرؤوس الجبل اه شيخه.

(٢) الرواية المطبوعة في كتاب "الزهد" هكذا: "فإذا كان ذلك الزمان لم تنل المعيشة إلا بسخط الله".

(٣) "فإن" كما في كتاب الزهد المطبوع.

(٤) "فإن" كما في كتاب الزهد المطبوع.

(٥) أي يورد ضيق المعيشة نفسه اه شيخه.

(٦) "تهلك" بالتاء كما في كتاب الزهد المطبوع.

(٧) رواه البيهقي في الزهد الكبير عن الحسن عن أبي هريرة (رقم: ٤٣٩) (ص ١٨٣-١٨٤).

المعيشة لسخط الله عز وجل فعصا الرجل ربه استئثاراً لزوجته وولده أو والديه أو قرابته وجيرانه، فهم بأنفسهم يوردون الموارد المهلكة.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. الهرب للدين.
٢. المعيشة مع سخط الله.
٣. قلة التربية من الأب لزوجته وأولاده.
٤. قلة الأدب من الأولاد.
٥. فساد الزمان بفساد القرابة والجيران.

ما يستفاد منه

انتشار المحرمات تقدم البحث في الحديث الثامن.

هلاك شخص في أيدي من أقرب إليه

فمن تربى بشخص فهو أقرب إليه منهجاً وسلوكاً فقد ترجم سادات حضرموت على أنهم تربون في حجر آبائهم وعلمائهم فصاروا العلماء الأولياء، وهكذا الفسقة فهم منذ صغرهم يأخذون السلوك من تربية آبائهم ولو حالاً؛ لأن لسان الحال أفصح من لسان المقال، فقد نص صلى الله عليه وسلم على أن الأولاد الصغار مع آبائهم فيما أن يهودانهم أو ينصرانهم إلا من نادر مثل فرعون. ولو شاهدت امرأة في بلادك تكشف

رأسها فمن هي ومن والدها؟ لشاهدت كلهن ممن لا غيرة بدينه، فمعاذ الله عن كل شرور.

كاد الفقر أن يكون كفراً

زعم الناس بهذا الحديث أفضلية الكسب على طلب العلم، وهو صحيح مقبول من وجه لا من آخر، فماذا تفهم منه؟ القصد هو أن الكلام مقبول من وجه وغير مقبول من وجه آخر، وإليك بيان ذلك:

ورد الحديث على أن المجاهدين والعلماء والعباد حتى الأمراء لا يدخلون الجنة مقدماً بل هم اعترفوا على فضلية الأغنياء فدخلوا قبل أي واحد من أصحاب الجنة، فما السبب؟ تأمل أن الغنى هنا أنفع فهو أفضل بكثير من الفقر الذي كاد أن يكفر الناس به، فالأغنياء هنا صدقوا فيما عاهدوا الله فأخرجوا واجب أموالهم بل يتصدقون بفضل أموالهم لمصلحة الإسلام والمسلمين مع توقر الإخلاص في قلوبهم، فانظر المصلحة حتى صح أن ينتج فضل الكسب على طلب العلم لقصد ديني محض.

ولو نظرنا على ماهية طلب العلم لوجدنا أنه يفيدنا في الدنيا والآخرة يربينا إلى منهج سوي، وبه نجاة مؤمن من النار، وسعادة له في جنة النعيم، فيتبين لك وجه أفضلية الطلب على الكسب، ولولاه لما للكسب فضل، ولما لا يتأتى الطلب إلا بالمؤنة فأحدهما يكمل الآخر، فمن زهد عن الهوى بالطلب فيكفيه رزقه الذي لا يحتسب فهو أفضل، ومن كسب فأنجاه الله من الكفر فأنفق مما يجب فهو الذي يأتي بحقوق الناس.

الحديث العاشر

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ^(١) اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: "يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد^(٢)؛ فإنه من شجر اليهود"^(٣)، رواه مسلم^(٤).

المعنى العام

أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه عن أشراط الساعة بما يفيد هزيمة اليهود خصوصاً والكفار عموماً حتى يخفوا أنفسهم وراء الحجر والشجر فظل كل حجر وشجر تتكلم بإذن الله عز وجل وتخبر بأن الكفار تجلس وراءها ليظهر الله دينه ولو كره المشركون.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. القتال بين المسلمين واليهود.

(١) أي يستتر.

(٢) أي ضرب من شجر الشوك.

(٣) وفي صحيح مسلم المطبوع "فإنه من اليهود".

(٤) رواه مسلم في جامعه الصحيح كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل

(رقم : ٢٩٢٢) (ج ٢ ص ١٣٣٥).

٢. تكلم الحجر والشجر.

٣. انهزام اليهود

ما يستفاد منه

لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى

لن تفيد التأييد في النفي، فانتفاء الرضا من اليهود والنصارى ثابت في القرآن إلى الأبد، وقد استقر في قلوبهم الحسد حتى نتبع ملتهم، لكن الذي يهمنا هو أن بعض المتهجمين زعموا أن هناك آيات^(١) تناقض هذه الآية التي مؤداها نجاتهم بقطع النظر عن الإيمان بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيتساءلون هل أقر دين اليهود والنصارى أم يجب عليهم الدخول في الإسلام؟

حينما تتكلم الآية عن اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم فهل ذلك دليل على أنه دين أو اسم لدين الله؟ لا خلاف في أنهم قالوا: لا يسمى الله به ديناً، فالأسماء مثل اليهود والنصارى ليست إلا اسماً لأتباع نبي الله موسى ونبي الله عيسى عليهما السلام، وإذا رجعت التاريخ لوجدت أن هذه التسمية غير موجودة في عصر نبوة موسى وعيسى عليهما السلام، إذن لا اليهود ولا النصارى إلا اسم متأخر، فاليهود اسم لأتباع موسى عليه السلام من قبيلة ترجع أصولها إلى يهوذا، والنصارى اسم لأتباع عيسى عليه السلام

(١) كقوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" البقرة (٦٢).

الذين سكنوا الناصرة، وهم بأكثر من مائة سنين بعد عصر كلیم الله والمسیح علیهما السلام.

فالآن نتساءل هل يتدين موسى علیه السلام باليهود؟ وهل يتدين عيسى علیه السلام بالنصراني؟ كل ذلك لم يكن، فهم الآن يتدينون بما وافقهم الهوى لا لما أنزل عليهم من الكتاب، فمن أدرك عصر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد وجب عليهم الإيمان بما جاء به صاحب الرسالة.

وانتبه، إننا لا نتكلم عن المؤمنين بموسى وعيسى عليهما السلام في عصرهما ولا عن أهل الفترة، بل الكلام على من بعدهم ومعاصرينا ممن ادعوا تقديس كتبهم فلم ينالوا، فاتهموا القرآن بمثقال ذرة، وسيرونه شراً منقلباً على وجوههم.

تكلم الجمادات

انظر قوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ (النور : ٢٤) فالآية دليل على تكلم الجمادات كأعضاء الإنسان يوم القيامة، فإذا أخبر صلى الله عليه وسلم بتكلم الغرقد وهي من الجمادات فإن دل على شيء فإنما يدل على اقتراب الساعة وانشقاق القمر.

الحديث الحادي عشر

عن أسماء بنت يزيد^(١) رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال: إن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها^(٢)، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف^(٣) ولا ذات ضرس^(٤) من البهائم إلا هلك، وإن أشد فتنته أنه^(٥) يأتي الأعربي فيقول: أرأيت^(٦) إن أحييت لك إبلك أأنت تعلم أني ربك فيقول: بلى، فتمثل له الشيطان نحو إبله كأحسن ما يكون ضرعاً وأعظمه أسنمة^(٧)، قال: ويأتي الرجل قد مات أخوه، ومات أبوه فيقول: أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك أأنت تعلم أني ربك فيقول: بلى، فيمثل^(٨) له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه، قالت: ثم خرج

(١) وهي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصارية الأوسية، تكنى أم سلمة ويقال لها خطيبة النساء، توفي رحمه الله سنة ثلاثين هـ. انظر "الإصابة في معرفة الصحابة"، و"الأعلام".

(٢) أي مطرها اهـ شيخي.

(٣) أي ظفر اهـ شيخي.

(٤) أي سن اهـ شيخي.

(٥) وفي مسند أحمد المطبوع "أشد فتنة أن يأتي".

(٦) أي أخبرني اهـ شيخي.

(٧) وفي مسند أحمد المطبوع "فتمثل الشيطان نحو إبله كأحسن ما يكون ضرعها وأعظمها أسنمة".

(٨) وفي مسند أحمد المطبوع "وأحييت لك أخاك أأنت تعلم أني ربك فيقول: بلى، فتمثل".

رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع، والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم^(١) قالت: فأخذ بلُجْمَتِي^(٢) الباب فقال^(٣): مهيم^(٤) أسماء، قلت^(٥): يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلعت أفئدتنا^(٦) بذكر الدجال، فقال^(٧): إن إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه^(٨)، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن فقلت: يا رسول الله والله إنا لنعجن^(٩) عجينتنا فما نختبره حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ يومئذ قال: يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسييح والتقديس، رواه أحمد^(١٠).

المعنى العام

ذكر صلى الله عليه وسلم في حديثه الدجال وفتنته فحدث أنه أصاب الناس الجوع والعطس من قلة الماء والنبات لا يمطر السماء في ثلاث سنين، وحدث أنه افتتن الناس

(١) وفي مسند أحمد المطبوع "لحاجة، ثم رجع، قالت: والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به".

(٢) أي ناحيتا وجانبا الباب.

(٣) وفي مسند أحمد المطبوع "وقال" بالواو.

(٤) أي ما حالك؟. اه شيخي.

(٥) وفي مسند أحمد المطبوع "قالت: قلت".

(٦) أي فرحتنا اه شيخي.

(٧) وفي مسند أحمد المطبوع "قال" بدون الفاء.

(٨) أي قاصده ومنازعه ومخاصمه.

(٩) وفي مسند أحمد المطبوع "قالت أسماء: يا رسول الله إنا والله لنعجن".

(١٠) رواه أحمد في مسنده (رقم: ٢٧٤٥١) (ج ١٨ ص ٥٩٢-٥٩٣)، ونحوه في مسنده (رقم: ٢٧٤٤٠)

(ج ١٨ ص ٥٨٨-٥٨٩).

بالدجال استدراج ما أراده من الخلق والإحياء والإماتة، فتفجعت الصحابة إلى أن قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن أدركت عصره فأنا سأنازعه وإلا فله خليفة في كل زمان، ويكفي للناس أن يسبحوا ويكبروا لله عز وجل.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. خروج الدجال.

٢. انقطاع المطر.

٣. انقطاع المنتجات.

٤. هلاك البهائم.

٥. دعوة التشريك.

ما يستفاد منه

الدفاع والرد عن العقائد الضالة

العلم نوعان: علم فرائض الله على كل عباده، وعلم ما يتعلق بذلك، وكل نوع له أقسام، لكن ليس هو المقصود هنا، فالعلم الذي نحن بصدد علم الدفاع عن العقائد المخلدة في النار، فحينما نطلع على كتب القوم نجد أنهم لا يدرّسون بعض العلوم الدينية، فما هو؟ يقول أبو هريرة رضي الله عنه: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين أما أحدهما فبثته، وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم^(١).

(١) أخرجه البخاري.

فنستفيد منه أن من العلوم ما لا يطلب منه النشر، بل يكفي لصاحبه قاعداً أو يجلس إلى وجود الداعي، فالعقيدة الضالة من ضمنه، فلا يتكلم صاحبه إلا لمناسبة الدفاع، فلربما فهم شخص السؤال ولا يفهم الجواب، نضرب لك مثلاً ما لو تكلم واحد عن عقيدة الشيعي في تولية علي كرم الله وجهه مع موقف الصحابة، فقد يظن السامع أن كلامه صحيح، ولا يدري الجواب عنها فيبقى متحيراً فانقلب مذهبه إلى مذهب الشيعي، فالأولى أن يصدر الدفاع عن الشبهات أو الرد عن العقيدة الضالة من المتمكنين في العقيدة الصحيحة ويسمعه من له أهلية النظر والاستيعاب بعقيدته الصحيحة لا عامة الناس.

خليفة الله على الأرض

توقر في قلوب المسلمين أن معنى خلافة الله على الأرض هو الإمام الأعظم، وقد أرشد صلى الله عليه وسلم إلى اتباع سنن الخلفاء الرشدين، فسماهم الخلفاء، فهل تشترط للخلفاء أهلية الاجتهاد؟ فيه نظر.

ثم نبتدى بضرورة الخلافة في العالم، قال الغزالي^(١): إن تعامل الناس بسبب الشهوة أدّى إلى التنازع، ولا يصلحه إلا الحاكم أو السلطان، وهو محتاج إلى السياسة تسوسهم، فتعينت ضرورة السياسة في العالم لاحتياج الناس إليها، فعالم بالسياسة واجب وهو الإمام

^(١) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي من كبار الفقهاء ثم صار من كبار الصفاة وتبعد في معبده وألف فيه الإحياء، ورزق له علم ما لم يعلم، فأحاديثه في الإحياء دليل على مصاحبة النبي صلى الله عليه وسلم، والعلم من عنده عز وجل، توفي سنة (٤٥٠-٤٥٠هـ).

الأعظم في الدولة الإسلامية. أما حديث الباب فلا دلالة فيه على شرط الاجتهاد إلا أن فيه إشارة إلى وراثة الخليفة من المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونبينا مجتهد في بعض المسائل كما هو الأصح.

فإذا وجب في العالم إمام بشرط الاجتهاد فالاجتهاد واجب كذلك، فلا يجوز خلو الزمان عن المجتهد، والأصح أنه يجوز فكيف الجمع؟

نقول: إنه لا توافق بيننا وبين الشيعي فلا يشترط الاجتهاد ولا العصمة للإمام، فيكفيه العلم في السياسة، أما المعاملات والمناكحات والجنايات فيفوض إلى أهلها، فحصل التوافق والجمع في المسألة.

التسبيح والتقديس هما الأفضلان يومئذ

جاء في البخاري "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"^(١) فقد ناسب وضع البخاري في آخر كتابه بحديث أشراط الساعة التي دلت على أفضلية التسبيح آخر الزمان.

(١) أخرجه البخاري.

الحديث الثاني عشر

عن عمرو بن عوف^(١) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الدين ليأرز^(٢) إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية^(٣) من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً وسيعود^(٤) كما بدأ فطوبى للغرباء، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي، رواه الترمذي^(٥).

المعنى العام

أخبر صلى الله عليه وسلم ابتداء الدين من الحجاز، وأنه مربوط فيه أشد الربط، فقد بدأ الإسلام قليلاً، وأنه سيعود قليلاً، فالناس مع قلة معتقده مصلحون ما أفسده أكثر الناس من سنة سيد المرسلين.

(١) وهو عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة. كان عمرو بن عوف المزني قديم الإسلام، وأحد البكائين الذين قال الله تعالى فيهم: "تولوا وأعينهم تفيض من الدمع" المائدة (٨٦)، سكن المدينة ومات بها في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما، ويكنى أبا عبد الله، ومخرج حديثه عن ولده، هو ضعيف عند أهل الحديث، وهو جد كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) بكسر الراء المهلهة أي يتجمع ويثبت. والمراد ينقص الدين. اهـ شيعي.

(٣) أي مربوط الغنم، والأروية أنثى الوعول التي في رأس الجبال.

(٤) أي ويرجع كما في سنن الترمذي المطبوعة.

(٥) رواه الترمذي في جامعته الصحيح كتاب الإيمان باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً (٦٢٣٠) (ج ٥ ص

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. ثبت الدين في الحجاز.

٢. غرابة الدين.

ما يستفاد منه

حرمة الحرمين الشريفين

إن إبراهيم عليه السلام حرّم بيت الله وأمنه، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها^(١)، وهو حديث مشهور في ألسنة الناس استدل به العلماء على حرمة مكة والمدينة، كما نستفيد من قوة ورجوع الدين إلى الحجاز شرفه، لأن دين الله أعلى ولا يعلى، فأمكنته محترمة كذلك، فمن باب الاحترام ألا يخطب شجره، ولا يعضد، ولا يقطع منها إلا ما يسوق به إنسان بغيره.

(١) أخرجه مسلم.

السنن المهجورة وإحيائها

ألف العلماء كتباً في الموضوع كسنن الهيئات في الصلاة، وملابس الرسول صلى الله عليه وسلم، فالسنن لا يحرص في الملابس بل الأخلاق الكريمة ومعاملته الحميدة وحكمه الجليلة دلتنا تلك المؤلفات تنبيهاً على كثرة المخالفة عن السنن النبوية المستقيمة، فانحطت بيئتنا إلى درجة أسوأ، وذلك لعدم تطبيق هذه السنن. فإحيائها بالتدريج ابتداءً في هيئة علمائها وأحوالهم وشؤونهم التي تقدم لنا البرامج الإسلامية بديلة عن المشاهدات الغربية وما يؤول إليها، إلى غير ذلك في التلفزيونات والإذاعات والحفلات التي تناسب شرف الإنسان لا ما يدينهم، وليس ذلك إلا بالتطبيق.

الحديث الثالث عشر

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتين على أمتي كما^(١) أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل^(٢) حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا : من^(٣) هي يا رسول الله، قال : ما أنا عليه وأصحابي، رواه الترمذي^(٤).

المعنى العام

أخبر صلى الله عليه وسلم بما فعله بنو إسرائيل وأنه سيتبعهم الأمة المحمدية كمن أتى أمه علانية كما أخبر بأن اختلاف بني إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة، واختلفت الأمة المحمدية على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا من على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

(١) أي "ما أتى" بدون الكاف كما في سنن الترمذي المطبوعة فاعل ليأتين.

(٢) أي كتقدير وقطع إحدى النعل على قدر النعل الأخرى.

(٣) "ومن" بالواو كما في سنن الترمذي المطبوعة.

(٤) رواه الترمذي في جامعته الصحيح كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق الأمة (رقم : ٢٦٤١) (ج ٥ ص

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. اتباع سنن اليهود.
٢. افتراق الأمة المحمدية على ثلاث وسبعين ملة.

ما يستفاد منه

تحريم اتباع سنن اليهود وهي النتيجة من قوله تعالى: "ولن ترضى عنك اليهود..."
الآية^(١)، وقد تقدم البحث في الحديث العاشر.

مذهب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

من المعلوم أنه يؤخذ ويترك الكلام إلا من النبي صلى الله عليه وسلم، والمعنى أنه لا حجة إلا ممن لا ينطق عن الهوى في القول ولا في الفعل لا لأحد من المسلمين حتى أصحابه صلى الله عليه وسلم وبقية المجتهدين، فالأئمة اختلفوا في حجية قول الصحابي، فمن احتج به فقد اعتبر أنه مباشر مع صاحب الوحي الذي عليه العمل، وأما من لم يعتبره فقالوا: إنه لا عصمة فيهم فيجوز صدور الخطأ منهم، فلا حجة في قولهم. كما لا حجة في المجتهدين، وإنما يجوز الأخذ من كلامهم المؤيد بدليل.

ثم إن من ادعى شيئاً فعليه الدليل، ومن نقله فعليه الصحة، فهذه هي الميزانية التي رأينا على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي".

(١) البقرة (١٢٠).

فمن عمل شيئاً واحتج أنه اتبع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أو أنه ادعى أنه استنبط من الحديث النبوي فعلية أن يثبت أولاً نقله هل الحديث محتج عند الأصوليين؟ فالكلام واسع في رجال الحديث ومتنه. ثم عليه أن يثبت دليلاً على ما ادعاه من الاستنباط أو أنه موافق لما استفيد من الحديث، ومن هنا اشتراطوا في المجتهد ما لا دخل لنا في الكلام، وليس ادعاء الشيء مجرداً عن ثبوت النقل أو الدليل كما يفعله العوام في الحديث النبوي.

فنفقه أين مرتبتنا الآن بهؤلاء الرجال، تعرف أولاً كم من رجال الحديث المحفوظين عند المتقدمين وكم من المتون المتبعثرة وهي محفوظة في صدورهم، وكم من إبداعات علمية أصلوها وحققوها، هذا وقد قال المعاصرون: إن الأصول التي بني عليها المجتهدون قد كملت، فباب التأسيس قد أغلقت، ولكن باب الاجتهاد لا يغلق إلى قيام الساعة. وإذا فهمت النتيجة تجد أن مذهب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو ما قد أصلوه التابعون^(١) كالإمام مالك^(٢) وأصحابه في المدينة بلاد الحديث، ثم الإمام أبي حنيفة^(٣) وأصحابه في العراق بلاد الرأي، ثم تابعي التابعين كالإمام الشافعي^(٤) وأصحابه في العراق ومصر بلاد أزهر العلماء، ثم الإمام أحمد وأصحابه في العراق، وقد دونت

(١) على لغة أكلوني البراغيث.

(٢) هو الإمام مالك بن أنس الأصبحي المدني المتوفى (١٧٩هـ).

(٣) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي المتوفى (١٧٩هـ).

(٤) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ).

آراؤهم الفقهية مع أدلتها نصاً واستنباطاً، فلا علينا أصحاب الريال إلا اتباع هؤلاء الرجال، والله أعلم.

الحديث الرابع عشر

عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء، قيل : يا رسول الله وما هي؟ قال : إذا كان المغنم دُولاً^(١)، وإذا كانت الأمانة^(٢) مَغْنَمًا^(٣)، والزكاة مَغْرَمًا^(٤)، وأطاع الرجل زوجته، وعق أمه، وبر صديقه، وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم^(٥) القوم أرذلهم^(٦)، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمر، ولبس الحرير، واتخذت القينات^(٧) والمعارف^(٨)، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً^(٩)، رواه الترمذي^(١٠).

(١) دُولاً بكسر الدال المهملة وبضمها جمع دولة وهو ما يتداول من المال فيخص لقوم دون قوم. والمراد أن الغنيمة غرض ما ارتحلوا في سبيل الله. اهـ شيخي.

(٢) "ف قيل : وما هن يا رسول الله؟ قال : إذا كان المغنم دُولاً والأمانة مَغْنَمًا" كما في جامعه الصحيح المطبوع.

(٣) أي الغنيمة، فيذهب بعضهم بأماناتهم.

(٤) والمغرم هي الغرام، فلا يؤدونها.

(٥) أي رئيس اهـ شيخي.

(٦) أي أقبحهم. اهـ شيخي.

(٧) أي المغنيات. اهـ شيخي.

(٨) أي آلات الموسيقى. اهـ شيخي.

(٩) "ومسخاً" كما في جامعه الصحيح المطبوع. والخسف تغيب في الأرض. اهـ شيخي، والمسخ التحويل من حالة إلى حالة أقبح.

(١٠) رواه الترمذي في جامعه الصحيح في كتاب الفتن باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف (رقم :

المعنى العام

سخر الله أسباب نزول البلاء والمصائب عند ارتكاب الناس خمسة عشر خصلة من خصال الآداب وليس كلها من المحرمات كبر الصديق وإكرام الغني لغناه إلى آخر ما ذكره.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تداول الأموال بين الأغنياء.
٢. ذهاب الأمانات.
٣. الزكاة كالغرامة.
٤. خوف الرجل على زوجته.
٥. عقوق الوالدين.
٦. بر الصديق أكثر منه للوالدين.
٧. الأسواق في المساجد.
٨. رئيس القوم أجهلهم.
٩. إكرام الرجل لماله.
١٠. شرب الخمر ولبس الحرير.
١١. كثرة المغنيات وآلات اللهو.
١٢. ملاعنة الناس.
١٣. نزول البلاء.

ما يستفاد منه

أسباب نزول البلاء تقدم معنى البحث في نقصان العمل.

هل للمرأة أن يجعل زوجها طائعاً لها؟

مما شاهدناه في بقاعنا أن المرأة قدمت على الشيوخ يبغين الدعاء منهم على أن زوجها طائع لها أو فعلت ما فعله القدماء من السحر ونحوه، فلو كان الأمر بالدعاء فقط لا بشيء يغير اعتقادنا الصحيح فالأمر واضح ما دامت الطاعة في الله ورسوله. وأما ما يمتزج بأشياء غير شرعية فهو مذموم معلوم التحريم، وقد تكلم الفقهاء عن طاعة الزوجة ونشوزها لا العكس، فالمطلوب شرعاً طاعة المرأة لزوجها.

هل تجوز المسابقة برفع الأصوات في المسجد؟

القصد منه هي المسابقة بتلاوة القرآن، ولهذا الكلام مباحث يجب أن نفطنها: أولاً: أنه اتفق العلماء على المنع من التشويش للنائمين أو المصلين ولو كان بالقرآن إلا بعد موافقتهم على المسامحة.

ثانياً: لا يشتري أحد بالقرآن ثمناً قليلاً أي الدنيا القليلة بدلاً عن الإيمان واليقين. ثالثاً: يجوز أخذ الأجرة أو المقابل بقراءة القارئ آية أو آيات للرقية كما في الحديث.

رابعاً: يجوز النكاح بما مع الرجل من القرآن.

خامساً: أنه لا سبق مع وجود المقامرة كأن يقدم المشارك رأس المال للجنة المسابقة.

سادساً: لا بد من إنكار وإبعاد المحرمات كالاختلاط بين الأجنبي والأجنبية.

بعد هذا كله ننظر ماذا قالوا: في تجويز تلك المسابقة؟ فهم أدخلوها في الوسائل إلى المصلحة، فننظر تلك المصلحة ألا وهي حفظ القرآن وهو طريقة لحفظ الدين؛ لأنه مصدر وأصل الشريعة المطهرة، اللهم إلا أن في رأينا ليست المسابقة طريقة واحدة في ذلك.

ثم إنهم استفادوا بحديث رقية الفاتحة والنكاح بالقرآن جواز أخذ الأجرة بقراءة القرآن، لكن الإشكال لا يزال؛ لأنه ليس كل قارئ مثاباً بالأجرة بل ذلك على حسب درجة المتسابقين عند القراءة أمام الناس، ثم هل يقرؤون مثل ذلك عند الخفية؟.

نعم لسنا ممن نجزم بتحريم تلك المسابقة، ولسنا كذلك ممن نجزم بإباحته، وقد نميل إلى أنه يجوز لمطلق القراءة أخذ الأجرة لحديث الرقية؛ لأن الصحابة لا يعرفون ما في الفاتحة حينئذ فهم إنما يقرؤون للقراءة فقط.

وكلامنا الآن عن المسابقة في المسجد، فإذا قلنا: إنه لا يبنى إلا للعبادة فليس للمسابقة حظ في المسجد، لكن الأقرب أن المسابقة تتضمن معنى العبادة من تلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإذا قلنا: إنه لا يبنى للعبادة فقط بل لغيرها ما دام نتقرب إلى الله زلفى فالكلام واضح.

سبب المعاصرين على القدماء ولماذا سبوا، وقد تقدم البحث في التجرؤ على

الفقهاء السابقين، وبيننا السبب الرئيسي من الجهل ونقصان الدين.

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً^(١) وأنهاراً، رواه مسلم^(٢).

المعنى العام

قد تكلم العلماء أن أشراط الساعة تنقسم إلى قسمين: صغرى، وكبرى، فالحديث يتحدث عن القسم الأول من أشراطها، وهو فيضان أموال الناس فلا يوجد من يستحق الزكاة، فتكون الأرض عامرة والمباني عالية.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. فيوض الأموال وعدم من يستحق الزكاة.
٢. مروج بلاد العرب.

(١) المروج جمع مرج وهي أرض واسعة فيها نبت كثير تخرج فيها الدواب.

(٢) رواه مسلم في جامعه الصحيح كتاب الزكاة باب التَّزْيِينِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا (رقم :

ما يستفاد منه

لو لم يجد المزكي أحداً يقبل الزكاة، فما العمل؟

نقول أولاً: إنه يجب استغراق جميع الأصناف بالزكاة والتسوية فيما بينهم، لكن لا تجب التسوية فيما بين آحاد كل صنف. فما العمل لو لم نجد المستحقين يقبلون الزكاة؟ فإذا رجعنا إلى العلة الباعثة لاستحقاق الزكاة وهو اسم الحاجة، فلا تكاد توجد المسألة المفترضة، أما الذي يهمننا هو كلام العلماء حينما لم نجد المستحقين البتة، فنقول: إن الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً، فما دام لا نحتاج إلى أخذ أموال الأغنياء لتطهير أموالهم وللرد إلى فقرائهم فلا حاجة إلى إيتاء الزكاة اللهم إلا إن نظرنا إلى أنها ركن من أركان الدين فاللجوء إلى الحيلة غير بعيد^(١).

(١) فلا تفهم أننا منعنا الزكاة في زمانئذ، بل الزكاة لا تزال واجبة ولو لم نجد الأصناف الثمانية، وإمكانك أن ترجع إلى الحيلة بأن تجعل أحداً من المسلمين فقيراً بعد إعطاء جميع ما ملكه، ثم نخرج الزكاة إليه كفقير مستحق لها، والله أعلم.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج في آخر الزمان رجال يختلون^(١) الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن^(٢) من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله عز وجل : أبي يغترون أم علي يجترئون فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، رواه الترمذي^(٣).

المعنى العام

بيع الدين بالدنيا من تلبس إبليس للناس، فخرج هذا النوع من المنكر منذ القديم إلا أنه إذا انتشر في آخر الزمان كان من أشراط الساعة، فكان الناس يتلطفون ويتكلمون بما هو أحلى، لكنك لا تدري أقلوبهم طاهرة مثل ما في شكلهم، ثم إن الله تعالى أخبر أن الفتنة تخرج منهم فلا يفطنه الحليم حيران.

(١) بلا ألف بعد التاء أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة. اهـ شيخي، وختل أي خدع.

(٢) أي الصوف لإظهار الدين والضعف منهم.

(٣) رواه الترمذي في جامعته الصحيح كتاب الزهد باب (رقم : ٢٤٠٤) (ج ٤ ص ٦٠٤).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. ظهور الخوارج.
٢. طلب الدنيا بعمل الآخرة.
٣. قصد الدنيا بالتواضع والتلين.
٤. لسان الخطابة مع قسوة القلب.
٥. الفتن بسببهم.

ما يستفاد منه

هل يصح العمل الأخروي بقصد الدنيا؟

إذا نظرنا إلى القلب فأدركنا أن المسألة في اشتراك النية فقد أشرك العامل هنا نيته الأخروية بالدينيوية، ولنتنقل إلى أقوال العلماء من حيث الثواب، فلهم آراء مختلفة في المسألة:

١. ذهب ابن عبد السلام^(١) إلى أنه لا شيء له من الثواب.
٢. ذهب الغزالي إلى أنه باعتبار الباعث فإن كان قصده الدينيوي أغلب فلا شيء له من الثواب.
٣. وذهب ابن حجر الهيثمي^(١) إلى أن الثواب بقدر نياته الأخروية.

^(١) وهو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، من كتبه "التفسير الكبير"، و"الامام في أدلة الاحكام"، و"قواعد الاحكام في إصلاح الانام"، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ). انظر الأعلام.

هذا من حيث الثواب، لكن هل العمل صحيح بمعنى أنه سقط عليه الطلب في الدنيا أو ترتبت عليه آثاره من التملك والتملك، وقالوا: إن كانت صلة العمل بين العبد وربّه بحيث لا تتوخى فيه فائدة عاجلة بل القصد نيل المثوبة ففي ارتباط النية وتأثيرها شأن فإن كانت النية لتبديل الحكم الشرعي قصداً فالعمل محرم؛ لأنه عبادة شرعية منقلبة لاتباع الهوى، ويسمى بالحيل المحرمة كأن تعبد بالصلاة مع الرياء فإنه محرم وإن صح العمل^(٢)، وكأن تواطأ على الطلاق في مسألة التحليل للزوج الأول فالعمل محرم ولا يصح؛ لأن النية مدرك بالتواطؤ، فهذه من قصود الدنيا وهي المطلوبة من الموضوع، وقد عرفت حكمها^(٣).

وإن كانت النية غير ذلك فيصدق أن العبادة لا للتحويل كالوضوء بنية رفع الحدث والتبرد أو ليس للقصد شيء كأن صادف أن طلق الزوج زوجته بدون تواطؤ فتزوجت بزوجه الأول، فكلتا العمل صحيح مقبول شرعاً.

وإن كانت الصلة بين العبد وأخيه بحيث تتوخى فيه فائدة عاجلة فالعمدة فيه على الظاهر دون أن يكون للنية فيه تأثير في التصحيح والإفساد كأن تعامل بالعرايا فهي صحيحة للرخصة ولا أثر للنية.

(١) وهو الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه شافعي اعتمده أهل حضرموت في الخلاف بينه وبين الرملي، له كتاب "تحفة المحتاج" وهو شرح على المنهاج للنووي، أجمع كتاباً في الفقه الشافعي للمسائل العصرية، توفي رحمه الله سنة (٩٠٩-٩٧٤هـ). انظر النور السافر.

(٢) لأن نية الرياء مما لا يدركه أحد.

(٣) وسنكمل التفصيل الباقي في الفقرة التالية.

هل التلين دليل على استحقاق الزكاة؟

إن الذي يجمع الأصناف الثمانية لاستحقاق الزكاة الحاجة لا اسم كل منها، فلو أن شخصاً تلين هل هذا دليل على أنه استحقها؟ فالجواب هو أن التلين إن كانت ذا الحاجة لضعف صاحبه مثلاً فالأمر واضح فكل صنف من الأصناف الثمانية إنما استحقوها لموضع الحاجة لا بمجرد اسمها.

الحديث السابع عشر

عن ابن عمر^(١) رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن - وأعوذ بالله أن تدركوهن - : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا^(٢) فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت من^(٣) أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين^(٤) وشدة المؤنة^(٥) وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب^(٦) الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم^(٧) بينهم، رواه ابن ماجه^(٨).

(١) وهو الصحابي الجليل أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ).

(٢) أي انتشر وذاع.

(٣) بمعنى "في" كما في سنن ابن ماجه المطبوع.

(٤) أي القحط.

(٥) "المؤنة" كما هي الرواية، وعليه القواعد الإملائية.

(٦) أي قهر وشدد.

(٧) أي ذنبهم. اه شيخه، والمراد وعيد من الذنوب وهو العذاب.

(٨) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب العقوبات (رقم : ٤٠١٩) (ج ٤ ص ٣٦٧-٣٦٨).

المعنى العام

تحدث صلى الله عليه وسلم عن خمس أنواع من أشرار الساعة ويقابلها بخمس أخرى من البلائيا؛ امتحاناً للناس ليعلموا من الذين آمنوا منهم ومن الذين لا يوقنون، فبيّن:

أولاً: أن ظهور وعلانية الزنا في القوم جعل انتشار الطاعون والأوجاع بينهم لم تكن فيمن قبلهم من الأمم.

وثانياً: أنه تعالى أوعد بالويل للمطففين، وهم الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، وهذا في الآخرة، فحدث بأن الويل لهم في الدنيا القحط وشدة المعيشة وظلم الحكومة، فالغبن ليس على من يتعامل معهم بل لأنفسهم يخدعون، ولكنهم لا يشعرون.

وثالثاً: أنهم يمنعون الزكاة بأي طريقة من طرقها، فلا يطهرهم شيء، ولو عبرنا بظاهر الكلام لقلنا: إنه لا يوجد عندهم الماء الذي يتطهرون به؛ لعدم نزول الصيب من السماء.

ورابعاً: أنهم نقضوا العهد فيما بينهم وبين الله ورسوله من إقامة الفريضة والبعد عن المحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسلط الله عليهم عدواً من الكفار غلبوا عليهم وأخذوا حقوقهم بلاداً وسلطانة وحرمة.

وخامساً: لا توجد دولة من الدول التي تحكم بشريعة الله فعذبهم ببأس شديد بينهم لا يقاومه أحد.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. علانية الزنا.
٢. نقصان المكيال والميزان في المعاملة.
٣. منع الزكاة.
٤. نقض عهد الله وعهد رسوله.
٥. الحكم بغير ما أنزل الله عز وجل.
٦. نزول المصائب بسبب ذلك.

ما يستفاد منه

سنية التعوذ عند تلفظ ما يكره

فقد استعاذ صلى الله عليه وسلم عند ذكر المكاره فدل على سنية التعوذ، فالحديث نص على ذلك، لكنه نبني على أن الرواية ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا زائدة من الراوي.

تحريم الزنا ونقصان المكيال والميزان ومنع الزكاة، وهذا واضح، والحكم بغير ما أنزل الله وجور السلطان وقد تقدم البحث.

رحمة الله فوق كل شيء

تسلسل إلينا حديث مشهور بالمسلسلة الأولية ألا وهو حديث: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، واستفدنا من قوله صلى الله عليه وسلم: "ولولا البهائم لم يمطروا" أن الله سبحانه قدّر أن رحمته وفضله واسع وهذا جزء من مائة رحماته كما في الحديث^(١)، فرحمته غلبت عذابه فأنزل المطر لأجل البهائم رحمة بهم.

انهزام المسلمين تحت الكفار ظاهراً

هذا هو الظاهر في مشاهداتنا فقد انهزم المسلمون تحت أيديهم بما فيهم العلماء والصالحون، ولقد ادعى المسلمون أنفسهم بالتأخر مع أن دينهم أعلى ولا يعلى عليه، فما السبب؟ وقد تقدم البحث في نقصان الدين وما يترتب عليه من الانحطاط والفساد كدليل لاقترب أمر الله.

(١) أخرجه البخاري.

الحديث الثامن عشر

عن ثوبان^(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك الأمم^(٢) أن تداعى^(٣) عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها^(٤)، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء^(٥) كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة^(٦) منكم، وليقذفن^(٧) في قلوبكم الوهن^(٨)، قيل : وما الوهن يا رسول الله^(٩)؟ قال : حب الدنيا، وكراهية الموت^(١٠). رواه أبو داود^(١١).

(١) وهو أبو عبد الله ثوبان بن جُحْد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل السراة أصابه سبأ فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ولم يزل يكون معه في السفر والحضر إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم فخرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها داراً. وتوفي بها رحمه الله سنة أربع وخمسين. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) أي الأمم الكافرة.

(٣) أي يدعو لمقاتلتكم.

(٤) القصعة مائدة تشبع العشرة. اهـ شيخي.

(٥) أي ما يجيء فوق السيل مما يحمله الماء من الوسخ وغيره.

(٦) أي الإجلال والمحافة.

(٧) أي وليلقين. اهـ شيخي.

(٨) وهو لغة : الضعف.

(٩) "وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن؟" كما في سنن أبي داود المطبوعة.

(١٠) رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام (رقم : ٤٢٧٦) (عون المعبود ج ١١ ص ٤٠٤-٤٠٥).

(١١) وهو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني أحد أئمة الحديث في زمانه، رحل رحلة كبيرة، وتوفي بالبصرة سنة (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ). انظر الأعلام.

المعنى العام

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه اجتمعت الأمم الكافرة لانهزام المسلمين في عصر من العصور، فقال الصحابة: يا رسول الله هل ذلك لأجل قتلنا حينئذ، فقال: ليس كذلك بل الأمر أنكم كثيرون إلا أنكم كالوسخ من السيل، لا قيمة لكم بسبب أن الله تعالى سيخلي من صدوركم الهيبة، ويخلي في قلوبكم ضعف اليقين، وعبر عن ذلك بالوهن وفسر بأنه حب الدنيا وكراهية الموت.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. هزيمة المسلمين.

٢. انخلاع المهابة.

٣. حب الدنيا.

٤. كراهية الموت.

ما يستفاد منه

فئة قليلة غلبت فئة كثيرة

الصبر والربط والتقوى والتوكل والثبات والذكر، هذه أسباب النصر وشروطه وهي معدومة عندنا، وقد تكلم عز وجل في آيات كثيرة عنها ليفهم ذوو الألباب، فليس سبب الهزيمة منحصراً في وجود المنافقين وضعف اليقين، فهناك أسباب تضعف وتفسد النية تجعل كثرة الفئة هزيمين مع الجماعة القليلة.

أهمية المهابة

عندما تدعو إلى الله عز وجل فإنك لا بد أن تقيم قياماً شريفاً لاحظتكم عيون الناس محترماً لا لمتاع الدنيا بل ليوضع لك القبول في الأرض، وذلك بأن تلبس ملبساً لائقاً بالداعية ومظهراً مناسباً للمقام لتحصل لك المحبة التي ينادي بها الله عز وجل جبريل وينادي بها أهل السموات فوضع عز وجل لك رضا من الناس فأطاعوه عز وجل بدلالتك، فكانت لك الدلالة على الخير فلك مثل أجر من عمل بك من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

حب الدنيا رأس كل خطيئة

لذا فقد لعن الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر أمته أن الدنيا ملعونة وما فيها^(١)، فيها^(٢)، فلا بد لنا أن نعتبر أنها عمود كل خطيئة ورأسها كما في الحديث^(٣)، لكن المراد المراد هو ما يبعد ويلهيك عن الرب عز وجل، فلا ينافي ما ورد من المنع من لعن الدنيا، ثم إن المطلوب منها هو الفرح لا بزيينة حياة الدنيا بل الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا...﴾^(٣). وبهذا جصل التوافق بين الحديثين في ذم الدنيا وفي منع اللعن لها.

(١) رواه الترمذي.

(٢) مرسل رواه البيهقي عن الحسن.

(٣) يونس (٥٨).

كراهية الموت من أسباب انهزام القوم

قال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم...﴾ الآية^(١)، فكراهية الموت من طبائع الإنسان فلا أحد يجراً في القتال إلا إن تيقن العاقبة منه، فعاقبة القتال في سبيل الله جل ثناؤه الظفر والغنيمة أو الشهادة والجنة فإذا قابلناها بكراهية الموت فليست أصلاً من طبائع الإنسان، فصح الكلام معنى من أن في القتال مشقة قاطعة في النفس إلا أنها منعدمة بالصدق واليقين، فهل يصدق أحد في هذه العاقبة إلا وقلبه مؤمن.

(١) البقرة (٢١٦).

الحديث التاسع عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
سيأتي على الناس سنوات خداعات^(١) يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق،
ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويضة^(٢)، قيل : وما
الرويضة، قال : الرجل التافه^(٣) في أمر العامة، رواه ابن ماجه^(٤).

المعنى العام

يتكلم الحديث عن سنوات هالكة لا تجد أحداً إلا ظهر منه الخداع والفتنة يصدق
الكاذب ويكذب الصادق، ولا أمانة إلا عند الخائن، ولا يؤتمن المؤمن، ويجلس للرئاسة
حكام جهال يسوس الناس بالهوى لا بهداية ربه.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تصديق الكاذب وتكذيب الصادق.

٢. تضييع الأمانة.

٣. رئاسة الجهال.

(١) أي إظهار خلاف ما تخفيه أنت.

(٢) لغة هو الذي يرفع الغنم.

(٣) أي الذي يزعم صغار الشيء كبيراً، وكباره صغيراً. اهـ شيخه.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب شدة الزمان (رقم : ٤٠٣٦) (ج ٤ ص ٣٧٧).

ما يستفاد منه

لقد صدق الكذاب

مصدقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة حينما أخبرته الشيطان عن فضيلة آية الكرسي أن قال: صدقت وهي كذوب^(١)، لكن تصديق الكاذب هنا من أشراط الساعة أعنى أن الناس لا يبالون بالصدق والكذب فالأمر الديني لا لعب بينهم، نسأل الله حسن الخاتمة.

لا دين لمن لا أمانة له

الأمانة مناسبة للعقل الموجود في الإنسان، فلولا العقل لما ائتمن الناس بالإيمان، ثم عليهم أن تؤدي حقها، فمن يتدين بدين الله فلا دين له إلا بأداء الأمانة، ولا يغيبن لنا عرض الله عز وجل الأمانة السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فالأمانة بتصديق القلب لما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم ضرورة بلا نزاع.

تنصيب الجهال تقدم البحث في الحديث الأول.

^(١) رواه الترمذي.

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي، فقال : متى قيام الساعة؟^(١) فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم : بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال : أين السائل؟^(٢) عن الساعة؟ قال : ها أنا يا رسول الله، قال : إذا^(٣) ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال : كيف إضاعتها؟ قال : إذا وسد^(٤) الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة، رواه البخاري^(٥).

المعنى العام

ذكر في الحديث أنه لا إيمان لمن لا أمانة له، فالرسول صلى الله عليه وسلم أخبر في حديثه بأن تلك الأمانة ضيعها الناس، فهم وضعوها عند غير أهلها فلم ينتظروا إلا الهلاك.

(١) "بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابي فقال متى الساعة؟" كما في صحيح البخاري المطبوع.

(٢) "أين أراه السائل؟" كما في صحيح البخاري المطبوع.

(٣) "فإذا" كما في صحيح البخاري المطبوع.

(٤) أي حفظ ووضع.

(٥) رواه البخاري في صحيحه أول كتاب العلم باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه (رقم : ٥٩) (٣٧).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تضييع الأمانة.
٢. قيام من لا أهلية للعمل.

ما يستفاد منه

أهمية السؤال

يقول شيخنا باعوضان^(١) حفظه الله: "اسألوا العلماء الجائين إليكم، ولا تهتموا بالتصوير ولا بالكاميرا فقط"، فهذه من أهمية ما ينادي به أستاذي الفاضل، فإنه لا يجيء الطالب عنده إلا ويسأل المسائل الفقهية الغامضة عنده، فإن انتهى من سؤاله أمره أن يرجع إلى مسكنه، فهذه عاداته لا يتكلم إلا بالواجبات، ثم رجعنا إلى الزمان الماضي فوجدنا أن الصحابة لا يسألون كثيراً عن مهامهم فجاء جبريل على صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجاب بما فيه كفاية، وسيأتي الحديث^(٢)، فهذا جبريل أتى الصحابة يعلمهم دينهم، ولماذا؟ لأنه ليس كل أمور هذا الدين منصوبة بل لا بد من سؤال، فهذا مع مرتبة الصحابة، فدعهم

(١) وهو مفتي الديار الحضرية الحالي الشيخ الفقيه الزاهد الورع محمد بن علي باعوضان ولد بتريم ونشأ بها وتعلم وعلم بها، أدرك زمان الشيوعية في اليمن وحضرموت، كان عسكرياً ذا هممة عالية في التدريس، لا يخاف لومة لائم، درس حالياً في جامعة الأحقاف ورباط تريم، وهو من فحول أهل تريم، لا يقبل ضعفاً إلا إن سأل المسائل الواقعية في الفقه، فحفظه الله ورعاه وطول عمره ونفعنا بعلومه في الدارين.

(٢) أي في الحديث الأربعين.

وانظر إلى حالنا فنحن أكثر وأشد حاجة إلى هذه الأسئلة التي تبين مهام ديننا، فليس لنا أن نتكبر أو نسكت حياء أو نتغاضى عن الأولويات في ديننا، فالسؤال والسؤال.

السؤال بعد تمام الحديث

وهو الوقت الأولى المناسب لإلقاء السؤال، ولذا ينبغي لكل مدرس أن يخصص وقتاً آخر الدرس للسؤال فيما مضى من كلامه.

الحديث الحادي والعشرون

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون آخر أمتي نساء كاسيات عاريات^(١)، على رؤوسهن كأسنمة البخت^(٢)، إلعنوهن فإنهن ملعونات، رواه الطبراني^(٣) في المعجم الصغير^(٤).

المعنى العام

سيكون آخر الزمان نساء يلبسن ثياباً رقيقاً يبدون ما تحته من أجسامهن وحجمن يتزين برفع ضفائرهن تصنعاً، وأجاز صلى الله عليه وسلم بلعنتهن؛ لأنهن يستحقن ذلك.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. ملابس النساء المحرمات.

٢. الضفائر الكبيرة.

(١) أي كاسيات بنعم الله عاريات عن الشكر أو كاسيات بخمرهن عاريات بكشف بعض أجسامهن أو أنها يلبسن ثياباً رقيقاً يصفن ما تحته من أجسامهن أو يبدون حجمه.

(٢) الأسنمة جمع سنام وهو أعلى ما في ظهر الإبل، والبُخت بضم الموحدة التحتية وسكون المعجمة الفوقية ضرب من الإبل.

(٣) وهو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا، ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان سنة (٢٦٠ - ٣٦٠ هـ). له ثلاثة معاجم في الحديث، منها "المعجم الصغير" رتب فيه أسماء المشايخ على الحروف. انظر الأعلام.

(٤) رواه الطبراني في معجمه الصغير الحديث الأول في باب الهاء من اسمه هارون (ج ٢ ص ١٢٧-١٢٨).

ما يستفاد منه

حكم الملابس الكاسية العارية

نقصد بالكاسية العارية هنا ما يصفن ما تحت أثوابهن من أجسامهن، وهو واضح^(١) في عدم اعتبار هذا الثياب ساتراً، والدليل على ذلك:

أولاً: أنه لا أحد إلا قالوا: إنه لا يلبسن الشيء، أي كأنه لا ساتر.

ثانياً: القياس في ساتر الصلاة فإنه لا يكفي ما يوضح ما تحت ثيابهن.

ثالثاً: إنه لا بد من إثارة الشهوة كالكشف الحقيقي.

رابعاً: انظر قوله تعالى: "ولا يبدن زينتهن..." الآية (النور : ٣١)، فإنه إن وصف الشيء فقد أبدى الزينة.

أما الملابس العارية أي التي ترى العورة من الخارج فهذا عندنا محرم قطعاً.

حكم الضفائر

اعتبر البعض ما استعملته النساء من الضفائر في رؤوسهن مما يغير خلق الله عز وجل فهل صح الكلام؟

ولننقل أولاً حديث تغيير خلق الله جل ذكره، جاء في المنتقى أنه صلى الله عليه وسلم كره القصة هي الجومة من الشعر تجعلها المرأة على شعرها ترى أنها من شعرها من أجل ما فيه من تغيير الخلقة والتدليس، وقد لعن الله الواصلة والمستوصلة كما جاء في

(١) أي عندي.

الحديث^(١) وهو في معنى اتخاذ قصة الشعر وقال صلى الله عليه وسلم عنهما: فيه المغيرات خلق الله.

وقال تعالى: "فليغيرن خلق الله..." (المائدة: ١١٩)، وقال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله الواشمات"^(٢) فإذا عملنا بعموم الآية والحديث فالضفائر مما يغير خلق الله، فلا مجال إلا تحريم استعمالها.

ونقل عن الطبري^(٣): لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا للزوج ولا لغيره كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما توهم البلج أو عكسه، ومن تكون لها سن زائدة فتقلعها أو طويلة فتقطع منها أو لحية أو شارب أو عنفقة فتزيلها بالنتف، ومن يكون شعرها قصيراً أو حقيراً فتطوله أو تغزره بشعر غيرها فكل ذلك داخل في النهي وهو من تغيير خلق الله تعالى قال: ويستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية كمن يكون لها سن زائدة أو طويلة تعيقها في الأكل أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أصحاب الستة.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. له "الذيل التابع لاتحاف المطالع" يعرف بتاريخ الطبري، و"جامع البيان في تفسير القرآن" يعرف بتفسير الطبري توفي رحمه الله سنة (٢٢٤ - ٣١٠ هـ). انظر الأعلام.

قال الخطابي^(١): إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش ولما فيها من تغيير الخلقة وإلى ذلك الإشارة في حديث بن مسعود بقوله: "المغيرات خلق الله" والله أعلم.

فكلام العلماء صريح في التحريم لما فيه من الغش وأشد منه تغيير خلق الله عز وجل، لكن هل وافق ما نقل عن فقهاءنا في كتبهم وما مستندهم فيه؟ فما نقل عنهم على خلاف المفهوم وأولوا الأحاديث بأنها في الشعر الموصولة، أما الضفائر فهي مع عين شعر المرأة لا التوصيل بشعر آخر، والله أعلم.

جواز لعن العاصي

إذا اطلعنا على القرآن الكريم فكثيراً ما نجد من الآيات التي يلعن بها الظالمون والفاسقون والعاصون، وعلى رأسهم إبليس والشيطان، كما نجد في الأحاديث ما يصرح باللعنة على فاعل المحرمات، فهل هذا دليل على جواز لعنتهم؟ كما في الحديث.

نتحدث قبل كل شيء عن اللعنة ما هي؟ وما يترتب عليه؟ وهل هناك نص على الجواز أو المنع منها؟

^(١) وهو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي الخطابي، فقيه محدث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب، له "معالم السنن" في شرح سنن أبي داود، و "شرح البخاري"، توفي رحمه الله في بست سنة (٣١٩ - ٣٨٨ هـ). انظر الأعلام.

اللعنة لغة : الإبعاد والطرده من الخير، فمن الله البعد عنه، ومن الخلق السبّ، والذي نحن بصدده هو لعنة الناس العصاة، فالمعنى أن تسبهم أو تدعوهم بالبعد من الله جل ذكره.

فهو كلام قبيح نهاه الشرع بقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً - إلى أن قال - ولا تلمزوا أنفسكم... الآية﴾ (الحجرات : ١٢) إلا أن البحث في العصاة فهم من الذين استحقوا اللعن كما ثبت في آيات كثيرة.

ثم قرأنا الآيات فنجد أنها نزلت في قوم حق عليهم العذاب بأن ماتوا وهم كفار، فلا تشمل لعن العصاة ما داموا أحياء، فلهذا قال بعض المفسرين: أن لعنة المؤمنين بعضهم بعضاً ترجع عليهم اللهم إلا آية في سورة النور حينما تتكلم عن رمي الزنا من أحد الزوجين فجوز من الزوج لعنة نفسه معلقاً بالكذب لأجل الشهادة، كما نص حديث الباب في تجويز اللعنة على العصاة، وعلى رأسهم النساء الكاسيات العاريات، والله أعلم.

الحديث الثاني والعشرون

عن مكحول^(١) رضي الله عنه قال : قال رجل : متى قيام الساعة؟ يا رسول الله، قال : ما المسؤل عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط وتقارب أسواق، قال : وما تقارب أسواقها؟، قال : كسادها، ومطر لا نبات، وأن تفشو الغيبة، وتكثر^(٢) أولاد البغية، وأن يعظم رب المال، وأن تعلو أصوات الفسقة في المساجد، وأن يظهر أهل المنكر على الحق، قال رجل : فما تأمرني؟، قال : فر بدينك، وكن حليماً^(٣) من أحلاس بيتك^(٤)، رواه ابن أبي الدنيا^(٥).

المعنى العام

تكررت الأحاديث في بعض أشراط الساعة، فبالجملة تتقارب الساعة بفساد الزمان بكثرة المعاصي حتى ممن يتدينون، لا يعقلون أولويات الفقه فتفسد الأرض نباتاً ومعيشة

(١) وهو أبو عبد الله مكحول بن زيد، ويقال ابن أبي مسلم بن شاذل بن سند بن شروان الكابلي الدمشقي، فقيه تابعي، سمع أنس بن مالك وأبا هند الداري ووائل ابن الأسقع وغيرهم من الصحابة وسمع جماعات من التابعين قال عنه ابن يونس: كان فقيهاً عالماً واتفقوا على توثيقه، توفي سنة (١١٨) هجرية. انظر موسوعة الأعلام.

(٢) "ولا نبات، وأن تفشو الغيبة ويكثر" كما في كتاب ابن أبي الدنيا المطبوع.

(٣) المجلس هو الذي لا يصلح إلا للبيت.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه العزلة والانفراد (رقم : ١٩٣) (ص ١٦١).

(٥) وهو أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن أبي الدنيا البغدادي القرشي الأموي، حافظ للحديث أكثر من التصنيف كـ"ذم الملاحية"، و"نواذر"، توفي رحمه الله ببغداد سنة (٢٠٨ - ٢٨١ هـ). انظر الأعلام.

وحياة وثقافة وبيئة وأدباً وأخلاقاً، فلا حول ولا قوة إلا بالله فكن حريصاً على صلاح نفسك وبيتك للأهم فالأهم.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تقارب الأسواق.
٢. مطر في الأرض ولا يخرج نباتها.
٣. فشو الغيبة.
٤. كثرة الزنا.
٥. إكرام الرجل لماله.
٦. كثرة المعاصي في المسجد.
٧. المنكر أظهر من الحق.

ما يستفاد منه

هل الغيبة من الكبائر أم من الصغائر؟

لا دلالة في حديث الباب على ذلك، ولنتعرض على خلاف العلماء وأدلة القولين في المسألة وما يستنتج منه.

اختلف العلماء في المسألة على قولين:

١. المعتمد أنها صغيرة لعموم البلوى.

٢. قيل: إنها كبيرة بلا خلاف كما أنها يشملها التعريف بأنها ما فيه وعيد شديد قال تعالى: ﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً...﴾ (الحجرات : ١٢).
 وحمل الأولون بأنه^(١) إن أصر عليها أو اقترنت بما يصيرها كبيرة أو اغتاب عدلاً صارت كبيرة، فكل ذلك يؤدي إلى كبار الفسق.
 ويترتب على الخلاف مسائل منها: أنه على اعتبار أنها كبيرة، فلا يصح أن يكون فاعلها شاهداً.

إلى من تنتسب أولاد البغية؟

قد قلنا: إنه لا دلالة في الحديث إلا أننا نتطرق لكون كثرة أولاد الزنا من أضرار الساعة فهل هؤلاء الأولاد لهم أب أو ولي، فالجواب أنه لا يلحق إلى الزاني لحديث: "الولد للفرش وللعاشر المحجز"^(٢)، فيجوز نكاح الزاني ابنته من الزنا، وينسب إلى أمه فقط، فوليه الحاكم^(٣).

(١) أي أصحاب القول الأول بأن هذا القول الثاني... إلخ.

(٢) متفق عليه.

(٣) قال في إثم العينين: "من نكح حاملاً من الزنا فولدت بعد ستة أشهر ولحظتان ألحق به بشرط إمكان وطئه"، وقال في البغية: "لكن لو علم أو غلب على ظنه أن الولد من زنا كأن لم يطأها أبداً يلزمه نفى الولد" اهـ بتصرف، قلت: فقول ابن زياد: "حاملاً من الزنا" صريح أن الرجل علم أنه ولد من السفاح فعليه نفية كما صرح به في البغية، ويفهم منه أنه لو نكح امرأة فولدت بعد ستة أشهر لكن شك هل الولد منه أو من زنا فلا يلزمه النفي بل يلحق به ظاهراً وباطناً؛ لأن الأصل عدم الوطء قبل النكاح فيكون الولد بالوطء بعده.

ما حكم نكاح المرأة عند الحمل من الزنا؟

لا مانع من ذلك؛ لأن الجنين في حكم المعدوم فلا اعتبار له، فيجوز نكاح الرجل أم الجنين من الزنا إلا أن الولد لا ينسب إليه؛ لأن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما تقدم آنفاً، وقد بينت الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ...﴾ (النساء : ٢٤)، فهذا مما لا نص على تحريمه في الآية، وقد جاء في الحديث فلم ينه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: "لا يحرم الحرام الحلال" ^(١).

استطردنا كفاية في المسألة إلى رأي من آراء العلماء في ولد الزنا، وهو ما قاله أبو حنيفة رحمه الله من أن الزاني إذا تزوج الزانية قبل وضعها ولو بيوم لحق به ولد الزنا، وإلا فلا. ذكره في الحاوي الكبير. ثم نتطرق إلى نظرية المصلحة والمفسدة، إذا تعارضت المصلحتان أو المفسدتان فالشرط ألا تكون إحداها متوهمة بأن تكون المصلحتان متحققتين. انظر مثلاً رأيين في ولد الزنا فإن للقائلين بانتفاء النسب مصلحة في دفع كثرة الزنا الواقعي في معيشتنا، وللقائلين بإلحاق الولد لمن ينكح الزانية مصلحة وهي إثبات رحمة الإسلام وستر العورة كما قيل به.

لكن هل المصلحتان متحققتان؟ نقول كثرة الزنا وقعت حالياً في العالم كله لا في الغرب فقط، وتحريم الزنا للمصلحة وهو الحفظ من اختلاط الأنساب، فالمصلحة في دفعها متحققة تدريجياً.

وإثبات رحمة الإسلام لا يتعين بستر عورة الناس، فإن العورة ههنا عادية وليست من الضرورة أن تزيلها أو نستترها؛ لأنها وقعت تقصيراً من الفاعل، ولا وجوب في سترها ولا حرمة في انتشارها فلا مصلحة متحققة بل هي موهومة. انظر هل تعارضت المصلحتان؟ فتأمل فإن كثيراً ما تتعلق المصلحة للنوازل كما قيل وهي متوهمة كبناء القردة لحب الوطن والتعارف المذموم لسرعة الزواج، فنعوذ بالله منها.

(١) رواه ابن ماجه.

حكم ما يعلو من أصوات الفسقة في المسجد

لا دليل على التحريم ما دام الصوت ليس بحرام، فحكم التحريم يدور مع ما يقتضيه من المحرم، فلو كان في الصوت جمع للناس فيختلط الرجال بالنساء فالحكم واضح، ولا ينحصر الصوت من الفسقة بل لعامة الناس. وقد تقدم البحث في المسابقة في المسجد^(١).

خذ الحكمة ولو من دبر الخنزير

فظهر الحق من أهل المنكر دليل على كثرة المنكرات حتى لا يوجد الحق عند أهله بل عند غير أهله وحينئذ فانتظر الساعة، لكن استفدنا من وجود الحق عند أهل الباطل أن الحكمة ضالة المؤمن فحيثما وجدها أخذها.

الفرار لأجل الدين

تحدث المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ...﴾ (الأنبياء: ٩٧) عن وجوب الهجرة إلى موضع يتمكن فيه الرجل إقامة دينه، واستدلوا أيضاً بحديث: "من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان ما بينهما شبراً استوجب" (٢).

(١) في الحديث الرابع عشر.

(٢) أخرجه الثعلبي في تفسير العنكبوت من حديث الحسن مرسلاً. انظر الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي.

أما القول بالنسخ لحديث: "لا هجرة بعد الفتح"^(١) فلا تعلق بالكلام؛ لأن النص خاص بالهجرة من مكة إلى المدينة، والدليل على الخصوصية أن الهجرة أعم من ذلك لغة، فلو أخذنا بالعموم لتعين وجوبها ولو بلا سبب، وهذه مشقة على الأمم، فوجب حمل الحديث على حالة خاصة في سبب وروده. فقد صدق الله في قوله كما وقع في الأندلس فقد صارت أولادهم كفاراً بسبب تركهم ما هو أصلح لهم من الهجرة^(٢). وتدخل فيه الهجرة من مكان كثرت فيه الشواغل والعلائق مما يكدر صفاء القلوب لتخليتها عن الشوائب وتخليتها بالأخلاق الكريمة، ومن الأرض التي تعمل فيها بالمعاصي. واستثنى الله من أسلم إلا أنه تحقق فيهم العذر بقوله تعالى: ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان التي لا يستطيعون... الآية﴾ (النساء : ٩٨) من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان، وقد دعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم في قنته.

(١) متفق عليه.

(٢) من بيانية.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليأتين على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكل أصابه من بخاره^(١)، وفي رواية : من غباره، رواه النسائي^(٢).

المعنى العام

قد أتى زمان يأكل الناس فيه الربا، انظر إلى البنوك في العالم فما منه إلا وتدخل فيه المعاملة الربوية حتى بعض البنوك التي نسبوها إلى الإسلام، وأضرب لك مثلاً الفوائد التي سموها العائدة إلى غير ذلك كدفع رأس المال إلى المتعامل لأي حاجة أساسية أو غيرها ويدفعه تقسيطاً، فيزعم صاحب البنك أنه باع البضائع ويدفع المشتري ثمنه مقسطاً على أساس بيع الشيء للأمر بالشراء، فمن لم يأكلها أصابه من ريحه، وإنا لله وإليه راجعون.

(١) أي ريحه الكريهة. اهـ شيخي. وهذا اللفظ الأول هو رواية أبي داود في سننه كتاب البيوع باب اجتناب الشبهات (رقم : ٣٣١٥) (عون المعبود ج ٩ ص ١٧٩-١٨٠).

(٢) أي روى نحو هذا الحديث ولفظ "من غباره" النسائي في سننه كتاب البيوع باب اجتناب الشبهات في الكسب (رقم : ٤٤٦٧) (ج ٤ ص ٢٧٩-٢٨٠).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. آكل الربا.

٢. السكوت عن نهي أكلها.

ما يستفاد منه

تحريم الربا، الكلام واضح بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية.

السكوت عن المنكرات

قد يقال: إن إيمان الناس يزيد وينقص فهل يلزم من السكوت على المنكرات أنه أضعف المؤمن كما ورد^(١)، ويجوز له السكوت عنها، يجاب بأن المراد من الحديث أضعف الأعمال على سبيل المجاز، وقد ثبت وجوب النهي عن المنكر بإجماع الأمة^(٢)، فهل للعلماء العارفين للمنكر حرج في السكوت؟

إن النهي عن المنكر من فروض الكفاية، فسقط الحرج بفعل البعض، وسكوتهم لوجود الغير، ولا يسقط لكونه لا يفيد في ظنه؛ لأن الواجب الأمر أو النهي، وما على الرسول والناس إلا البلاغ. ولا يخالفه قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم... الآية﴾ (المائدة: ١٠٥)؛ لأن المعنى أنه لا يضركم تقصير غيركم إذا فعلتم ما أمرتم به.

(١) رواه الستة إلا البخاري.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم في حديث التغيير للمنكرات.

قال البعض: لا يشترط أن يكون كامل الحال بأن لا يخل بالواجبات ولا بالمنهيات فعليه أن يأمر نفسه وغيره بالمعروف، وينهى عن المنكر نفسه وغيره، وهو كذلك. كما لا يختص لأصحاب الولايات بل يجب لكل أفراد من المسلمين.

ولا شك أنما ينكرونه مما أجمع عليه العلماء كالصلوات الخمس والخلال في شروط الصلاة لا ما اختلفوا عليه كضرب الدفوف في المسجد؛ لأن الإثم مرفوع عنه إلا إن حث واحد على الخروج من الخلاف ما لم يلزم منه إخلال بسنة أو وقوع في خلاف آخر. كما ينبغي أن يكون برفق ليكون أنفع وأقرب إلى حصول المطلوب، ويكون بثلاث مراتب التي في الحديث باليد ثم باللسان ثم بالقلب.

فإن غلب في ظنه أنه سيسبب منكرًا آخر أشد^(١) فيأخذ أرفق العمل وأنفع له ولعامل المنكر^(٢)، وقد بين ذلك في الحديث، هذا آخر ما نقلوه عن القاضي رحمه الله^(٣). وليس للأمر أن يتجسس ويبحث وينقر ويقحم على البيوت لأجل بحث المنكر، فإن ظن بالمنكر بأن أخبره من يثق بخبره أنه سيقتل رجل رجلاً في مكان كذا فعليه أن يتجسس في ذلك المكان، وإن قصر عن هذه الرتبة بأن لا يثق أو يسمع صوت المنكر في دار أنكره خارج الدار، وليس عليه أن يكشف الأستار.

(١) وقاسوا بكلمة الكفر فإنه جازت لدرء ضرر أشد.

(٢) فالعبرة بما هو أنفع ولا فرق بين لين وإغلاظ.

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم. وهو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، إمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، من تصانيفه "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، و"شرح صحيح مسلم"، توفي رحمه الله بمراكش مسموماً سنة (٤٧٦ هـ) - (٥٤٤ هـ). انظر الأعلام.

ضحايا النظام

مما وقعت في العالم كثرة الرشوة، وإنك لتجد في أي منظمات من سائر البلاد ما تفسد به الأرض، ولا تتطور حياة الإنسان ومعيشتهم لوجود كتابة سوداء داخل أشخاص الحكومة، ويسمون بمافية الحكم، فبسبب بعض منهم دخل من لا دخل له في الجريمة السجن أخذوا ما أعطوا من الهدايا في ظنهم، ولا عرفوا حقيقة الأمر.

فما المخرج؟ قد عرف الناس كلهم وجود اللعب بين الحكومي في خراج الحكومة فلا بد أن يتبين ويتثبت في الهدايا من رجال الحكومة، وقد قال تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا...﴾ الآية ﴿الحجرات : ٦﴾، فالتبين مطلوب ولو من غير فاسق، وإن قصر في التبين فعليه وزره قطعاً كأن قبل الهدايا بلا تثبت.

الحديث الرابع والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي على الناس زمان يحج أغنياؤهم^(١) للنزهة، وأوساطهم للتجارة، وقراؤهم للرياء والسمعة، وفقراؤهم للمسألة^(٢) رواه الخطيب البغدادي^(٣).

المعنى العام

أخبر صلى الله عليه وسلم عصر أعمال الخير المنقلبة بنياتهم شراً، ومثّل بالحج فقد حج أغنياء الناس للراحة، ومتوسطوهم لأجل التجارة، وعلماءؤهم رياء وسمعة، وفقراؤهم للمسألة، فقد قلبوا أولويات الفقه فكم من ناس قد حجوا عدة مرات ولا يبالون بالفقراء ولا بأمور الدعوة في سبيل الله، ونسأل الله السلامة.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة :

١. حج الناس لأغراضهم الخاصة.

(١) "أغنياء أمتي" كما في كتاب تاريخ بغداد المطبوع.

(٢) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد في ترجمة [٥٣٨٦] (عبد الرحمن بن الحسن أبو القاسم السرخسي) (ج ١١ ص ٥٩٧).

(٣) وهو الإمام الحافظ المؤرخ أحمد بن علي بن ثابت المشهور بأبي بكر الخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣). انظر الأعلام.

ما يستفاد منه

أهمية النيات

دخلت النية في أكثر من سبعين باباً من أبواب الفقه، كما تلاحظ أنه لا يتعلق بأول العبادات فحسب، وهناك مسائل أخرى كمن نكح مطلقة وفي قلبه نية التحليل. ثم إن العلماء تكلم على النية في سبعة مباحث يجمعها قول الشاعر:

حقيقة حكم محل وزمن كيفية شرط ومقصود حسن

اللهم إلا أنه ليس البحث بصددنا، فالكلام هو ذكر ما ورد من الآيات والأحاديث في أهمية النيات وفضلها، ومنها قوله تعالى: ﴿قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾ (البقرة : ٢٤٦)، ومنها حديث: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه".

فالآية تتكلم عن نية قوم نبي الله شمويل فقد صرحت الآية في نياتهم أنهم مخرجون من أرضهم وبلادهم فيا ليت من القتال لإعلاء كلمة الدين فهم إنما هزموا للاستئثار على عدوهم، ولأخذ ما لهم من متاع الحياة الدنيا، فيغرنهم الغرور، فلما حمي الوطيس فروا إلا من عرف حق المعرفة بدين الله عز وجل، فالله أعلم بمن وضع القتال في غير نيته المطلوبة عنده.

والتفت سماعك إلى حديث النية المروي عن عمر بن الخطاب^(١) رضي الله عنه في شروح كتب السنن والمسانيد فإنه أوسع ولا داعي إلى النقل.

هل تصح العبادات بنية غير شرعية؟

نقصد بالشرعية ما هو مطلوب في الشرع كنية الوضوء لرفع الحدث، وأما غير الشرعية فتتقسم إلى قسمين: ما هو مباح ويشمل المكروه، وما هو محرم كنية الردة. ثم البحث في التشريك بين الشرعية وغيرها من النيات فهل تصح العبادات؟ وبالنسبة للقبول والثواب فليس بحثنا، وقد تقدم.

أما ما يباح من النيات فقد يقتضي البطلان كنية فرضين^(٢) أو والراتبة، وتجمعها النية المقصودة أو الصارفة، وكقصد المسبوق بتكبيرة الإحرام التحرم والهوى، ونية خطبة

(١) وهو عمر بن الخطاب، الخليفة الثالث أوصى به أبو بكر الصديق بالخلافة لما رآه من شجاعته وعدله، وحتى الشيطان عدل عن الطريق الذي فيه عمر، كان ورعاً زهداً لا يعرفه الناس البعيد أنه رئيس الخلافة الإسلامية؛ لكثرة الجبر في ثوبه، واستوى عنده العبد والسيد، والغني والفقير، ظهر الإسلام به، وأقيمت الصلاة جماعة مع قلة المسلمين، وجمعت التراويح برأيه في رمضان، وقال: "نعمت البدعة هذه"، توفي رحمه الله سنة (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ). انظر الأعلام.

(٢) فالفرض الأول شرعي مطلوب، والفرع الآخر مباح، فلو جمعتهما في صلاة لم تصح.

الجمعة والكسوف معاً جزم بعدم الصحة الرافي (١) والنووي (٢)، ونية قضاء الفائتة مع التراويح، ونية صوم عاشوراء مع قضاء، والأضحية مع العقيقة.

وقد لا يقتضي البطلان كالنية المعتبرة في الوضوء والتبرد ويجمعها (٣) أن ينوي مع الفرض ما هو حاصل ولو لم ينوه لا يضره، فمنه نية الإمام تكبيرة الإحرام وإعلام القوم فإنه لا يبطل الصلاة، ونية الجنب غسل الجنابة والجمعة معاً يحصلهما، ونية الفرض والتحية.

(١) وهو أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن الفضل القزويني الرافعي، كان إماماً في الفقه والتفسير والحديث، وله: "فتح العزيز في شرح الوجيز"، و"المحرر"، توفي سنة (٥٥٨ هـ - ٦٢٤ هـ). انظر: "طبقات الشافعية الكبرى".

(٢) وهو محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي النووي كان عالماً بالفقه والحديث وغيره من العلوم محرراً للمذهب الشافعي ومنقحه، ذا التصانيف المشهورة المفيدة المباركة كـ "شرح صحيح مسلم"، و"منهاج الطالبين"، توفي سنة (٦٣١ هـ - ٦٧٦ هـ). انظر "طبقات الشافعية".

(٣) المذكورة مما لا يقتضي البطلان من النيات المباحات.

الحديث الخامس والعشرون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كالיום، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضربة^(١) بالنار، رواه الترمذي^(٢).

المعنى العام تقدم المعنى في الحديث الثاني.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. تقارب الزمان.

ما يستفاد منه

المؤمن لا يلدغ في حفر واحد

استفدنا من تقارب الزمان أنه لا ينسى الناس ما لهم من متاع الحياة الدنيا، وأنه إذا اغتر بشيء فلا يسقط فيه مرة ثانية، وهو مثل قديم وقد أدب به صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمته إلى آخر الزمان بأن المؤمن الكامل الحازم يحذر في الأخطاء السابقة، فينجو من استمرار الزلة التي أصابت كثيراً من المسلمين.

(١) أي الجمرة. اهـ شيخني.

(٢) رواه الترمذي في جامع الصحيح كتاب الزهد باب ما جاء في تقارب الزمان وقصر الأمل (رقم : ٢٣٣٢)

(ج ٤ ص ٥٦٧).

الحديث السادس والعشرون

عن حذيفة بن اليمان^(١) رضي الله عنه قلت : "يا رسول الله إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟" قال : "نعم"، قلت : "هل وراء ذلك الشر خير؟" قال : "نعم"، قلت : "فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟" قال : "نعم"، قلت : "كيف؟" قال : "يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان^(٢) إنس"، قال : قلت : "كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟" قال : "تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع"، رواه مسلم^(٣).

المعنى العام

قد كثر السؤال من الصحابة في أمور دينهم، فجاء كل واحد بما يهمهم مهمهم فقسمهم حذيفة إلى فريقين، الفريق الأول هم الذين يسألون عن فضائل الأعمال وأمثالها، والفريق الثاني يسألون عن العلاج ومفسدة الأعمال، وموبقاتها، فالصحابي

(١) وهو أبو عبد الله حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، واليمان لقب حسل، كان صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين، توفي رحمه الله سنة (٣٦هـ). انظر الأعلام.

(٢) أي جسم. اهـ شيخني.

(٣) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة الحديث الثاني من باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن (رقم :

الجليل حذيفة رضي الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم التحق بالفريق الثاني، وقال: "بأن الأكثرين على الفريق الأول".

فبين حذيفة في سؤاله أننا الآن في نعمة الإيمان والإسلام، فهل أحد منا يرتد أو يعصي الله في معروف؟ فأجاب صلى الله عليه وسلم "نعم"، وسأل ثانياً أن الناس بعد عصيانه وطغيانه قد يرجع إلى دينه الأول ويتوب، فهل يقبل الله توبته؟ فأجاب "نعم"، ولو تكرر ذلك لتاب الله توبة عبده المخلص، فتساءل متحيراً عن تقلب الخير إلى الشر والشر إلى الخير فكيف يكون؟ فأجاب بأن هناك قوماً دعاة لا يقومون بهدى الله وسنة رسوله، قلوبهم قلوب الشياطين، وجسدهم جسد الإنسان.

فلا يسع الأمة إلا طاعة الإمام ومن يقوم مقامه ما دام في طاعة الله ورسوله ولو أخذت أموالك؛ لأجل الدين الحنيف، وقد تقدم البحث عن الهجرة من البلدان الكافرة.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. ضلالة الأئمة وإضلالهم.
٢. قيام رجال للدعوة مع خبث قلوبهم.

ما يستفاد منه

انقلاب الخير شراً والشر خيراً

ما جاءنا الله به من الهدى والبيّنات لعباده دليل على قدرة الله على إرادة الخير لهم، فكذاك بإمكانه أن يقلب عباده من الأخيار إلى أسوء الخلق في العالم، كل لا يفوته

علمه تعالى، فأرشد صلى الله عليه وسلم في دعائه بقوله: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" ^(١) مقرأً بأنه عبد من عباده الضعيف وحث لأئمة أن يكثروا من هذا الدعاء ملتزمين من الله أن يجعلهم أمة مستقيمين بهذه الطريقة الناجية.

القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هدى الله

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ^(٢) فسر العلماء هذه الآية بأن الله كتابه عز وجل، والرسول سنة رسوله، فالرجوع إليهما اعتقاداً منا أنها هدى الله والفرقان، نص على ذلك كتاب الرحمن، وأنهما لا يقبل التغيير والتبديل ولا يفسر إلا بما أسند من السنن لا بالرأي قال صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فليتبوأ مقعده من النار" ^(٣).

مظهر الشياطين في قلوب الإنسان

تحدث صلى الله عليه وسلم في بعض حديثه أن الشيطان لا يتمثل بي، فمن رآه في المنام فسيراه في اليقظة ^(٤)، فأشعر بطريق الفحوى أنها تتمثل بصورة إنسان عادي؛ لأن الفرق بينه عليه الصلاة والسلام وبيننا عصمة الله في الأنبياء، ثم إن القلب منبع العمل،

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) النساء (٥٩).

(٣) ذكره البغوي في شرح السنة.

(٤) رواه البخاري.

فالشیطان بذكائه تدخل فی قلب الإنسان لا فی جثمانهم فقط، لأنه حلف ألا يعمل إلا بوسوسة الإنسان، فیلقى بها الناس إلى جهنم، والعیاذ بالله.

طاعة الإمام يوم الفتن تقدم البحث، ولا فرق بین أيام الفتن وغيرها.

وظلم الحكومة يوم الفتن فهذا مما يتعلق بالموضوع قبله، فالكلام واحد.

الحديث السابع العشرون

عن أبي سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لتبْعُن سنن^(٢) الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم، قلنا : يا رسول الله! آلهود^(٣) والنصارى؟، قال : فمن؟، رواه مسلم^(٤).

المعنى العام

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى منذ أيام نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الآن، وقد أدخلوا الشبهات بين المسلمين، ولأن كان المسلمون يتبعون قليلاً قليلاً من سننهم حتى لو دخلوا في جحر ضب، فهذا شأنهم.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. اتباع سنن اليهود والنصارى.

(١) وهو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر من بني الخزرج الأنصاري الخدري، كان من الحفاظ المكثرين العلماء الفضلاء العقلاء وأخباره تشهد له بتصحيح هذه الجملة، وتوفي رحمه الله سنة أربع وسبعين. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) بفتح السين المهملة وفي رواية: بضمها.

(٣) بهمزة الاستفهام.

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى (رقم : ٢٦٦٩) (ج ٢ ص ١٢٣٠).

ما يستفاد منه

حكم اتباع سنن الكفار، وقد تقدم البحث في الحديث العاشر.

وسد الذرائع عن كل الشبهات التي أوردوها فيما بيننا من الاعتقادات الفاسدة والأحكام اللبرالية.

الحديث الثامن والعشرون

عن حبيب بن عبيد^(١) رضي الله عنه كان للمقدام بن معديكرب^(٢) جارية تباع اللبن وتقبض الثمن، فقلت : سبحان الله^(٣) تباع اللبن وتقبض الثمن قال : نعم، وما بأس بذلك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليأتين على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم، رواه أحمد^(٤).

المعنى العام

يفيد الحديث أهمية اقتناء الحديث النبوي فأفاد أنه لا يكون الفقر يكفر الناس ضعفاء الإيمان، وأخبر المقدام بأنه سيأتي زمان لا ينفع للناس إلا دينار ولا درهم.

(١) وهو حبيب بن عبيد الرحبي الشامي رجل صالح ثقة أدرك سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه أهل الشام وثور بن يزيد وغيره. انظر الثقات لابن حبان.

(٢) وهو أبو كريمة المقدام بن معديكرب بن عمرو بن يزيد بن معديكرب بن سيار الكندي، صحابي جليل، قدم في صباه من اليمن مع وفد كندة على النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانين راكباً، وسكن الشام بعد ذلك، ومات بجمص، وهو ابن ٩١ سنة، وعده ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل الشام، توفي رحمه الله سنة (٨٧هـ). انظر الأعلام.

(٣) "ويقبض المقدام الثمن، فقليل له : سبحان الله" كما في مسند أحمد المطبوع.

(٤) رواه أحمد في مسنده حديث المقدام لكن قال فيه : "أبو بكر بن أبي مريم قال : "كانت لمقدام... وسقط حبيب بن عبيد (رقم : ١٧١٣٥) (ج ١٣ ص ٢٩٨)، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد : "عن حبيب بن عبيد قال : كان... (رقم : ٦٢٤٣) (بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ج ٤ ص ١١٠-١١١).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. كثرة الأموال.

ما يستفاد منه

يفيض المال ولا يفيد، وقد تقدم معنى البحث.

وحفظ الأحاديث النبوية لتطبيقها في الحياة، وتقدم أيضاً في بحث السنن المهجورة

ما يفيد هذا الموضوع.

الحديث التاسع والعشرون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلاً^(١) فيقال لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقاً،
وأن يظهر موت الفجاءة، رواه الطبراني في الصغير^(٢).

المعنى العام

اقتربت الساعة وانشق القمر وقد وقع كل منهما كما يرى الهلال أول ظهوره ويقول
الناس من سرعته: "إنه لليلتين".
ولا يبنون المساجد للتعبد بل يبنون وسيلة لجمع حطاهم ومتاعهم، وقد كثر أيضاً
الموت فجأة بوقوع التصادم ونحوه، فهذه من مظاهر أشرط الساعة.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. سرعة الوقت.
٢. المساجد واسطة للأشياء الدنيوية.
٣. ظهور موت الفجاءة.

(١) القبل بفتح القاف المعجمتين والباء التحتية وهو المعاينة والمراد أن يرى الهلال أول ما يرى، ولم ير قبله.

(٢) أي رواه الطبراني في معجمه الصغير باب من اسمه الهيثم (ج ٢ ص ١٢٩ دار الكتب العلمية).

ما يستفاد منه:

المسابقة وأمثالها في المسجد هل هي للدنيا

تقدم البحث عن حكمها، أما بالنسبة للواصلة إلى الدنيا، فالبحث في النية، ولا لنا أن نبحث ما أضمر عن عيون الناس، وقد تقدم أيضاً البحث عن التشريك في النية.

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليأتينَّ على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذه^(١) أمن الحلال أم من الحرام، رواه البخاري^(٢)، وزاد رزين^(٣) فيه: فإذا^(٤) ذلك لا تجاب لهم دعوة^(٥).

المعنى العام

هذا ما تحدثنا سابقاً من أتى عصر الانحطاط لا يدري الناس ماذا يعمل، ولا يبتغون علم معاملتهم ومعاشهم، فالذي يهتمهم المال ثم المال بغض النظر عن الحلال والحرام، وإذا كان كذلك فأني يستجاب لهم.

(١) "ما أخذ منه" أو "بما أخذ المال" كما في صحيح البخاري المطبوع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب البيوع الأول في باب من لم يبال من حيث كسب المال (رقم : ٢٠٥٩) (ج ٢ ص ٧٦-٧٧)، والثاني في باب قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة" (رقم : ٢٠٨٣) (ج ٢ ص ٨٣-٨٤).

(٣) وهو الامام المحدث الشهير أبو الحسن رزين بن معاوية ابن عمار العبدي الأندلسي السرقسطي صاحب كتاب "تجريد الصحاح" جاور بمكة دهراً، وسمع بها "صحيح البخاري" من عيسى بن أبي ذر، قيل: أدخل كتابه زيادات واهية لو تنزه عنها لأجاد. توفي رحمه الله بمكة في المحرم سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. انظر سير أعلام النبلاء.

(٤) "إذاً ذلك" كما في جامع الأصول المطبوع لابن الأثير.

(٥) ذكر رزين في تجريد الصحاح (مخطوط) حديث أبي هريرة لكن لم أقف على الزيادة فيه، وذكرها ابن الأثير في جامع الأصول (رقم : ٨١٣٦) (ج ١٠ ص ٥٦٩).

دلالة الحديث بالنسبة للأشراط الساعة:

١. المعاملة المحرمة.

ما يستفاد منه

أكل الحرام سبب رد الدعاء

تكلم أهل الصفة عن شرطين منعا أو كانا سببين لرد أو إمهال قبول الدعاء مع أنه سبحانه قال في كتابه المحكم: ﴿ادعني أستجب لكم﴾ (غافر : ٦٠)، الشرط الأول أكل الحلال وهو نص الحديث، والثاني الخشوع والإخلاص، وهو مأخوذ من حديث رجل أشعث أغبر يدعو الله فقال صلى الله عليه وسلم: "فأني يستجاب له"^(١)، فقد رأيت أناساً في دعاءهم لا يبالون بما هو الخشوع وما هو الإخلاص، فبعض الناس يدعو ويتكلم الكلام الخارجي، فكيف يستجاب لهم!.

(١) رواه مسلم.

الحديث الحادي والثلاثون

عن معاذ بن جبل^(١) رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 : ألا إن رحى^(٢) الإسلام دائر^(٣) فدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب^(٤)
 والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون
 لأنفسهم ما لا يقضون لكم إن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم قال : يا
 رسول الله كيف نصنع؟ قال : كما تصنع^(٥) أصحاب عيسى بن مريم عليه الصلاة
 والسلام نشروا بالمناشير، وحملوا على الخشب، والذي نفسي بيده لموت^(٦) في
 طاعة الله خير^(٧) من حياة في معصية الله عز وجل^(٨)، رواه أبو نعيم^(٩).

(١) وهو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج، الأنصاري الخزرجي ثم الجشمي، توفي رحمه الله بناحية الأردن في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، ولم يولد له قط. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) والأصل حجر عظيم، والمراد الأمور التي يدور عليها الإسلام.

(٣) "دائرة" بالتأنيث كما في حلية الأولياء المطبوعة.

(٤) أي العلماء كما أوله شيخي.

(٥) "قالوا : يا رسول الله كيف نصنع ؟ قال : كما صنع" كما في حلية الأولياء المطبوعة.

(٦) "على الخشب موت في طاعة" بلا قسم كما في حلية الأولياء المطبوعة.

(٧) إذا قابلت الموت في طاعة الله بالحياة في المعصية فخير بمعنى الواجب.

(٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء في ترجمة (٣١٣) "يزيد بن مرثد" (ج ٥ ص ١٦٥ -

المعنى العام

إن من واجباتنا لمصدرنا الأصيل هو اليقين والاعتماد به ككتاب الله عز وجل لا مجرد القراءة، فروح الإسلام يجري في الكتاب العزيز، ألا إن السلطان سيقولون: إن أساسنا هو القرآن، فإذا كان كذلك فياحبذا، وماذا لو رأيت إنه لنظام مجرد عن التطبيق، ودعوى بلا دليل، ونقل بدون عمل، وكلام بغير عزم، سيحكمون عليكم الأمراء ما يوافق لهواهم لا لمصلحة الأمم، وإلا فالقتل، وإن مشينا معهم كان في ضلال مبين، فالموت في سبيل الله عز وجل واجب إذذاك من الحياة في الدنيا مع عصيان رب البرايا.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. مخالفة الحكومة القرآن.
٢. التفريق بين رجال الحكومة وعامة الناس.
٣. ظلم السلطان والأمراء.

ما يستفاد منه

الاهتمام والاعتماد بالقرآن الكريم

تقدم البحث في أن القرآن هدى الله، وبه نعتمد اعتقاداً أنه كلام منزل من رب العالمين، ولولاه لما تواتر علينا وحي من السماء، فهو الفرقان بين الحق والباطل، وبقرائه

(١) وهو أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، حافظ مؤرخ ثقة في الحفظ والرواية، توفي رحمه الله سنة (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ). له "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، و"معرفة الصحابة". انظر الأعلام.

مجرداً عن النية أثيب، وبالاطلاع عليه نتعرف دلالة المعاني الغامضة والدقائق الفائقة، وبالتدبر نتخشع ونخشى الله جل ذكره، وبالتفكر في معانيه نستدل على قدرة وباهر آياته دلالة على وجود الصانع القادر.

طاعة الإمام لا في معصية الخالق والطاعة لله حتى الموت

الذي يظهر لي أن هذا القيد لطاعة الإمام معلوم من الدين بالضرورة؛ لأنه ما من عمل إلا ولا يجوز فيه الانتهاك لحرمة الله عز ذكره، أما طاعة الله جل جلاله فلا يقيد بأي مكان أو زمان أو شيء آخر؛ فإن معنى الطاعة أن تنقاد للخالق وتمضي أوامره وتوافقها، فإذا خالفت بالعصيان فلا طاعة أصلاً، فهي ملزمة من وقت التكليف إلى أن حضر الموت. والله الموفق.

الحديث الثاني والثلاثون

عن زينب ابنة جحش^(١) رضي الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول : لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم^(٢) يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت : فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟، قال : نعم إذا كثر الخبث، رواه مسلم^(٣).

المعنى العام

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً من إزعاج الناس في فساد معاملتهم وانحطاط آدابهم وهو ثقافتهم وهلل "لا إله إلا الله" بل نادى بكلمة تدل على قربهم من الهلاك، وأخبر أنه سيفتح باب ليأجوج ومأجوج، فهلك من هلك ولو حرصت؛ لكثرة الفساد واندماج عقولهم بشيء يسمونه تطوراً وليس كذلك.

(١) وهي زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية، أم المؤمنين، وإحدى شهيرات النساء في صدر الاسلام، كانت زوجة زيد بن حارثة، واسمها (برة) وطلقها زيد، فتزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم وسماها زينب، وكانت من أجمل النساء، وبسببها نزلت آية الحجاب، توفي سنة (٣٣ ق هـ - ٢٠ هـ). انظر الأعلام.

(٢) أي مدخل.

(٣) رواه مسلم في جامعه الصحيح كتاب الفتن وأشرط الساعة باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (رقم : ٢٨٨٠) (ج ٢ ص ١٣١٧) واللفظ في رواية ثالثة من ذلك الباب.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. خروج يأجوج ومأجوج، وهو من أشراط الساعة الكبرى كخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، وهي مذكورة في كتب أشراط الساعة المطولات.
٢. كثرة الخبث.

ما يستفاد منه:

سنة قول لا إله إلا الله عند الغضب

استفدنا من الحديث تهليل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك عند الغضب، فناسب أن تكون السنة بالتهليل عند حضور شيء مزعج تغضب لأجله كالمنكرات.

الدعاء بالشر للعامة

كما نستفيد جواز الدعاء بالشر لقوم عصاة على العموم بنية التحذير للآخرين، وليس ذلك غيبة لعموم المغتاب، ولا بد من الخلو عن التكفير؛ فمن كفر أحداً من المؤمنين بلا حجة صريحة فقد كفر نفسه، والعياذ بالله.

كثرة المعاصي سبب للفتن تقدم معنى البحث في الحديث الثاني

هلاك الناس يعم الصالحين منهم

وهو نص الحديث، فالهلاك لا بد منه، لكن السبب متدرج في أعمال الناس، فلو كثرت المعاصي لفسدت الأرض ولو كان منهم الصالحون، انظر إلى ظاهرية واقعيتنا فقد افتتن الناس الذي أقاموا في بقعة أهل الفسق بسبب فسقهم كأهل أوربا، فقد افتتن المسلمون منهم بمذهب الغربي الذي هم في نظر المسلمين الشرقي عدو الله، نسأل الله حسن الختام، والله أعلم.

الحديث الثالث والثلاثون

عن عمر رضي الله قال : قال رسول الله عليه وسلم : سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد لا ينجو منه^(١) إلا رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وقلبه فذلك الذي سبقت له السوابق^(٢)، ورجل عرف دين الله فصدق به، رواه أبو نعيم^(٣).

المعنى العام

قسم الغياث صلى الله عليه وسلم المؤمنين في آخر الزمان إلى ثلاث أقسام: منهم من ينجو وهو الذي يعتقد دين الله ويجاهد بلسانه وقلبه سبقت له رحمته تعالى بالسعادة، ومنهم من يعتقد دينه وصدق به، ومنهم من ليس كذلك، فانظر من أين الفريق تلتحق؟.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. بلاء شديد.

(١) "إنه سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لا ينجو فيه إلا رجل عرف دين الله بلسانه..."
كما في أخبار أصفهان المطبوعة.

(٢) أي الفضائل.

(٣) رواه أبو نعيم في أخبار أصفهان في ذكر أحمد بن يونس بن المسيب (ج ١ ص ٨١-٨٢).

ما يستفاد منه:

المعرفة قبل كل شيء

أول واجب على الإنسان معرفة الإله باليقين هكذا قالوه، وهو كلام محكم بلا نزاع، فرأس الأمر من بداية كتابتنا لهذا الشرح هو المعرفة، وهكذا، والإيمان لا بد من المعرفة قبل، فالله سبحانه وتعالى موجود إلا أن حواس أنفسنا من بصر ورؤية لا تقدر على تمثيل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فاعتقاد وجوده تعالى لا يتأتى إلا بعد معرفته، فهي قبل كل أمر، وحياة كل علم، وأرض كل بقعة، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ (الذاريات : ٥٦) أي ليعرفوني.

المجاهد في سبيل الله بلسانه وقلبه

فالمجاهدة هنا هي التي في زمان شديد الفتن، وإلا فهي لا يقصر في اللسان والقلب بل اليد والمال لهما باع طويل في نصيحة الخلق إلى عبادة الخالق، وقد تقدم الكلام في الأمر بالمعروف مما يتضمن البحث في عمل اليد واللسان والقلب.

هل يكفي المصدق بدين الله يوم الفتن؟

ليس المراد بالحديث اكتفاء الصدق بالإسلام يوم الفتن بل كل شيء قد قلنا إنه مقيد بالإيمان والعمل إن أمكن، فمن مكنت له العبادة لا شك في وجوبه بعد المعرفة والصدق، ومن لا يتمكن له ذلك لا بد له من الهجرة إلى أرض ممكنة، وقد بحثنا.

ومن يتضرر حتى حضره الموت أو مات بعد الإيمان على طول فقد وجب عليه الوعد بالنعيم، ومن لا يتمكن ولا يفر بدينه تعالى أو يعرف ويصدق ولا يعمل بعد الإمكان فقد وجب عليه الوعيد بالعذاب.

الحديث الرابع والثلاثون

عن خالد بن عرفطة^(١) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له :
 "يا خالد ! إنها ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف، فإذا كان كذلك فإن
 استطعت أن تكون عند الله^(٢) المقتول لا القاتل فافعل"، رواه أحمد^(٣).

المعنى العام

تتبادل الفتن والحوادث والمصائب والافتراقات المدمومة، فالأمان هو كونك صابراً
 ولست ظالماً لأحد، فإذا تضرر أن تكون مقتولاً شاهداً فافعل، لا أن تكون مقتولاً ظالماً.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. الفتن.

٢. افتراق الأمة المحمدية.

(١) وهو خالد بن عرفطة بن أبرهة بن سنان الليثي، وهو حليف لبني زهرة، سكن الكوفة، وتوفي بها رحمه الله سنة ستين هـ. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) "وفتن واختلاف فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول" كما في مسند أحمد المطبوع.

(٣) رواه أحمد في مسنده من حديث خالد بن عرفطة (رقم : ٢٢٣٩٨) (ج ١٦ ص ٣٣١).

ما يستفاد منه

الجهاد حتى الموت

المعنى صحيح، فالمراد بالجهاد هو الإيمان، وإذا فسرنا بالقتال في سبيل الله فهو صحيح أيضاً ؛ لأن الجهاد إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والنعمة وهو الموت. وعلى كل فمن أنكره حتى الموت فعليه الدليل، ولو قالوا : "إنه لا جهاد الآن" فباطل ؛ لأنه لو صح أنه لا يوجد الكافر الحربي في بعض البلدان لما خلا الناس من الجهاد على النفس وهو جار في عروقنا.

وهل الأمر يفيد الوجوب ؟

شاع في كتب الأصول أن إطلاق الأمر يدل على الوجوب ؛ لأن ما من أحد بأي لغة كان إذا أمر بشخص فإنما أمره على سبيل الجزم لعمل أرادته، والبحث الذي نحن بصدد قوله عليه الصلاة والسلام : "فافعل" فالذي يظهر لي أنه على سبيل الندب ؛ لأنه مقيد بالاستطاعة، ولأنه عمل يناقض ما يناسب الحكمة من حفظ النفس، فالشيء المأمور أوفق لشخص في وقت مخصوص، وليست الموافقة في كل حين.

الحديث الخامس والثلاثون

عن ابن عباس^(١) رضي الله عنهما قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، ثم أخذ بحلقة^(٢) باب الكعبة، فقال : يأيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة؟، فقام إليه سلمان، فقال : أخبرنا فذاك^(٣) أبي وأمي يا رسول الله؟، قال : من أشراط الساعة إضاعة الصلاة، والميل مع الهوى، وتعظيم رب المال، فقال سلمان : ويكون هذا يا رسول الله؟ قال : نعم، والذي نفس محمد بيده، فعند ذلك يا سلمان تكون الزكاة مغرمًا، والفىء مغنمًا، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويتكلم الرويضة، قالوا : وما الرويضة؟ قال : يتكلم في الناس من لم يتكلم^(٤)، وينكر الحق تسعة أعشارهم، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا رسمه، وتحلى المصاحف بالذهب، ويتسمن ذكور أمتي، وتكون المشورة للإماء^(٥)، ويخطب على المنبر الصبيان^(٦)، وتكون المخاطبة للنساء، فعند ذلك

(١) وهو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، أعلم الصحابة في التفسير، دعاه صلى الله عليه وسلم بعلمي الدين والتأويل، توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

(٢) أي سلسلة من الحديد. اهـ شيخه.

(٣) ومعنى الفداء كأنه سيشتري أحداً بأبيه وأمه ويخلصه فداء منه.

(٤) "من لم يكن يتكلم" كما في الدر المنثور المطبوع.

(٥) أي لا يبالى بالأمور والنصائح الدينية. اهـ شيخه.

(٦) أي الجهلاء. اهـ شيخه.

تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع^(١)، وتطوّل المنابر، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة وألسن مختلفة وأهواء جمّة، قال سلمان : ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال : نعم، والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة يذوب^(٢) قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ويغار^(٣) على الغلمان كما يغار على الجارية البكر، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة، ووزراء فجرة، وأمناء خونة، يضيعون الصلاة^(٤)، ويتبعون الشهوات، فإن أدركتموهم فصلوا صلاتكم لوقتها، عند ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق، ويجيء سبي من المغرب جثاءهم^(٥) جثاء الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين لا يرحمون صغيراً، ولا يوقرون كبيراً، عند ذلك يا سلمان، يحج الناس إلى هذا البيت الحرام، يحج ملوكهم لهواً وتنزهاً، وأغنياؤهم للتجارة، ومساكينهم للمسألة، وقراؤهم رياء وسمعة، قال : ويكون ذلك يا رسول الله، قال : نعم، والذي نفسي بيده، عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب، ويظهر الكوكب له الذنب، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتتقارب الأسواق، قال : وما تقاربها؟ قال : كسادها وقلة أرباحها، عند

(١) أي متعبد اليهود.

(٢) أي يسيل. اه شيخي.

(٣) أي يباع. اه شيخي.

(٤) "الصلوات" بالجمع كما في الدر المنثور المطبوع.

(٥) أي جسمهم. اه شيخي.

ذلك يا سلمان يبعث الله ريحاً فيها حيات صُفْر^(١) فتتلقط^(٢) رؤوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيروه، قال : ويكون ذلك يا رسول الله؟، قال : نعم والذي بعث محمداً بالحق^(٣)، رواه ابن مردويه^(٤).

المعنى العام

حديث مفصل لأشراط الساعة، وسيأتي ما يقاربه في المعنى.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

سيأتي ما يقاربه في الحديث التاسع والثلاثين من الدلالات، وزاد في هذا الحديث بعض الأشياء كما يلي:

١. تسمن علماء الأمة.

٢. عدم المبالاة بالنصيحة.

٣. اللواط والسحاق.

٤. بيع الغلمان.

(١) أي أسود.

(٢) "فتلتقط" كما في الدر المنثور المطبوع أي تلدغ. اهـ شيخي.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور سورة محمد (الآية : ١٨) في قوله تعالى {فقد جاء أشراطها} (ج ١٣ ص ٣٨٣-٣٨٥).

(٤) وهو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني، توفي رحمه الله سنة (٣٢٣ - ٤١٠ هـ). انظر الأعلام.

٥. ظهور الكواكب لها الذنب.
٦. مشاركة المرأة زوجها في التجارة.
٧. العذاب بالريح وحيات صفر.

ما يستفاد منه

تارك الصلاة

مما استفيد من إضاعة الصلاة كثرة أناس تاركين الصلاة بأي وجه من وجوه الإضاعة، وعلى رأسهم من قام كسالى، ومن أخذ عن علماء الشر من القول بانتهاء الواجبات مطلقاً أو مقيداً بحد من السنين، فأكبر حجة على وجوب الصلاة إلى الموت فعل القاسم صلى الله عليه وسلم، كان لا يدع الصلاة حتى ورمت قدماه وسئل: "قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر" فقال: "أفلا أكون عبداً شكوراً" ^(١).

التحية بالانحناء للتعظيم

التعظيم لله فقط، لكن له مراتب بحسب المعظم له، فليس كل التعظيم محرماً، وما دام الانحناء إطراق رأس بحت، ولم يصل إلى السجود مثل الصلاة، فلا بأس به، أما رأيت ندب القيام والتعظيم إذا مر شخص إن كانت له فضل كحمل القرآن أو له شرف أو صلاح أو ولاية، قال في المجموع: "يكره حتي الظهر لكل أحد" يعني مما يقرب إلى الركوع، أما الانحناء الذي بلغ حد السجود فحرام، ولهذا فسر العلماء سجود الملائكة

(١) متفق عليه.

لآدم بأنه ليس بوضع الجبهة، وقال صلى الله عليه وسلم: فلا تفعل فيني لو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها^(١).

أخذ الهديا أو المقابل من الدعوة

ننظر هنا من حيث الدعوة يعني أن الأمور التي سنتحدث فيها من باب النصيحة، وإلا فالهدايا مشروطة أم غيرها لا بأس بها، لأنه لا اطلاع لنا في الضمير. فما دام المقابل ليس مشروطاً فهو في سبيل الله، فاستفت قلبك فهل تنوي هذه الهدايا أم أخلصت لله؟ كل واحد عرف حاله وما يخطر في قلبه، وليس لغيره أن يحكم بأنه مخلص أو غير مخلص، ومع ذلك لا أحد يدعي أنه مخلص؛ لأن هذا الدعوى دال على الحمد لنفسه، وهو مذموم لعدم الاحتياج فيؤدي إلى الموبقات ومنها الرياء، وقد قال تعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ (الزمر : ٣).

رئاسة المرآت وخروجهن للعمل

إذا نظرنا إلى أن العمل ليس من جهة القضاء ولا من جهة الإمامة فخروجهن للعمل العادي مع الخلو عن الفتن وكثرة جماعتهن وانتفاء الخلوة بين نساء واحد ورجل أجنبي فهو محل وفاق بين العلماء، وإلا فيشق عليهن عدم الخروج وإن كان الأفضل أن يخرج زوجها أو محرمها بدلاً عنها، ووقوع الخروج من عصر النبوة إلى الآن دليل على اطباق العلماء في جواز العمل وإن كانت لها ولاية أو رئاسة فيه؛ لأنه ربما يوجد في النهر

(١) رواه ابن ماجه، وذلك لما قدم معاذ بن جبل فسجد له صلى الله عليه وسلم.

ما لا يوجد في البحر، فرما تأهلت نسوة للرئاسة دون الرجال فتكفي لهن الكلام والإشارة في مجلس عام دون الخلوة بينها وبين أجنبي عضو من أعضائه.

خلاصة العلاج في عصر الانحطاط

يتلخص أخف الضررين حين اقتربت الساعة في ثلاثة منصوص: مع الإمام، والشهادة بالموت، والصلاة لوقتها. وتقدم ثلاث آخر في الحديث الرابع، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر، وإتيان الناس بما هو أحب، وطاعة الإمام، ولا خلاف في الأول والثاني، واتفقت الأحاديث في الثالث. وزاد حديث الباب علامة لمن يريد الخير، وهو إقامة الصلاة في وقتها المخصوص.

الحديث السادس والثلاثون

عن معاوية^(١) رضي الله عنه يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة، رواه ابن ماجه^(٢).

المعنى العام

ملخص أحاديث طويلة في هذا الحديث، ألا وهو نزول البلاء والفتنة في العالم،
فهو حديث جامع لما قبل وما بعد من أشراط الساعة في هذا الكتاب وغيره مما يتعلق
بهذا البحث.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. بلاء وفتنة.

^(١) وهو معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، الصحابي الجليل، أسلم يوم الفتح،
ومعركته مع علي كرم الله وجهه مما نسكت فيه، توفي رحمه الله في النصف من رجب سنة ستين بدمشق ودفن
بها، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. انظر الإستيعاب في معرفة الأصحاب.

^(٢) رواه ابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب شدة الزمان (رقم : ٤٠٣٥) (ج ٤ ص ٣٧٦).

ما يستفاد منه

هل تفيد أداة الحصر بقاء الدنيا والفتنة فقط

نراجع في هذا الموضوع بحثاً بلاغياً فقط لا المسائل النحوية والأصولية؛ لأن حصر الشيء في الكلام من مباحث المعاني التي هي نوع من أنواع المصطلحات البلاغية. إذا تحدثنا عن واقعيات في آخر الزمان، فهي غير منحصرة في الأحاديث إلا أن هذا الحديث من جوامع الكلام، فالقصر على حاله من انحصار الواقعية في شيئين: البلى والفتن، فما من طاعة إلا ولها اختبار لمن اتقى فهل يستقيم على طاعته؟ ولا ينخدع بلومة لائم، ومن خاف الرياء فهو رياء، فهذا مما امتحن الله المطيعين في عمله. ولننقس الآن حالة العصيان من العبد فهو اختبار هل يتذكر فيتوب أو ينسيه الشيطان فيستمر؟، ولغير العصاة اختبار هل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما هو المطلوب.

فما أنزل الله من المصائب والشدائد هو بلا نزاع أنه ميزان كي يعرف الصادقون بصدقهم والكاذبون بكذبهم، وقد اختبر بها المؤمنين منذ نشوء الإسلام حتى حين إلا أن آخر الزمان موقع ومظان البلى والفتن، فحصرهما فيه صحيح.

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقيء الأرض أفلاذ^(١) كبدها^(٢) أمثال الأسطوان^(٣) من الذهب والفضة، قال: فيجيء السارق فيقول: في مثل هذا قطعت يدي، ويجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رجلي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً، رواه الترمذي^(٤).

المعنى العام

سخر الله أسباباً لترك الناس دينهم، مما فيه أحكام الله وحكمه وسائر متطلباته، وهذا السبب هو ما امتلأ من الأموال والنقود مما ينتج صعوبة دفع الزكاة وشفاعة الحاكم للسرار والحكوميين الظلمة وظلمة الحكام، كل ذلك أدى إلى فساد الأرض بانقلاب الأحكام وانتشار الفسق إلى غير ذلك من المعاصي.

(١) أي القطعة من اللحم.

(٢) أي قلبها. اهـ شيخه، والمراد أشياء غالية رفيع القيمة.

(٣) أي السارية والعمود، والمراد كثرة ما تخرجه الأرض من الأموال. اهـ شيخه.

(٤) رواه الترمذي في الجامع الكبير في أبواب الفتن (رقم: ٢٢٠٨) (ج ٤ ص ٦٩-٧٠).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. كثرة الأموال.
٢. ملآن الذهب والفضة.
٣. الفتن.

ما يستفاد منه

قطع اليد والقتل للقود

وهذان من أحكام متفق عليها منصوصة في القرآن الكريم، فمن قال: بأنه لا يليق مع تطور الزمان باختلال الحقوق الإنسانية من هذه الأحكام بما فيها من الإهانة لكرامة الإنسان المطلوبة ولكمال أعضائهم فقد كفر على الإطلاق؛ لأن الحكم منصوص اللهم إلا في بعض المسائل التي اختل فيها بعض أركانها أو شروطها فلا كفر بذلك. ولا اعتبار بخلاف من شذ فيه وقال بخلاف نص القرآن والحديث من المقننين.

فإذا خالفت القوانين الوضعية الأحكام الشرعية فلا خلاف في تقديم الشرعية في الظاهر والباطن، إلا إن خاف الفتن على نفسه في المحكمة فيجري أحكامه الوضعية مع إنكار ثبوتها^(١).

(١) فلو تحاكم شخص مع امرأته في المحكمة أن تطلق امرأته ثلاث طلقات دفعة واحدة، فحكم الحاكم بأنها رجعية ولهما أن يتراجعا، فله الإمضاء في المحكمة مع سماع متطلبات الإنفاق مدة العدة، لكن ليس له أن يراجعها فيما بعد إلا بالمحلل، وله أن يؤدي النفقة على سبيل الصدقة المندوبة ابتعاداً من الفتنة، هذا إن اتقى الله

قطع الرحم مسألة نص بها في القرآن والأحاديث، ولا داعي إلى النقل لاشتغال أدلتها.

هل يتغير الحكم بتغير الزمان أو القيمة؟

لا بد لنا أن ننبه مسائل متفق عليها، وهو أن البحث الجائر المؤيد بهذا الموضوع أو ما يسمونه بعموم البلوى في حكم ظني فما دونه، فيشترط للبحث أشياء:

- ألا يخالف قطعياً.
- ألا يخالف ظنياً واضح الدلالة.
- ألا يخالف القواعد الكلية.
- أن يصدر البحث بدليل معتبر وعلة مناسبة.

بعد إذ تبين أن المسألة لا نص فيها أو له نص محتمل أو ضعيف أو قابل للنقاش لصدوره من غير المتأهل أو غير المجتهد المطلق، فننظر ما يحيط بالمسألة وما الباعث والداعي؟ إلى أن تجمع عند الناظر المتأهل حكمها مع الأحكام في هذه الشروط المتقدمة الذكر مؤيداً بالأدلة ووجهها مع قبول النقاش لمن ناظر فوجد زلة في الحكم.

في الأحكام وأخذ بمذهبنا الشافعية، وإلا فرأي المخالفين له وجه من المصلحة إلا أنه لا زال شاذاً ضعيفاً في نظري.

الحديث الثامن والثلاثون

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 كيف بكم إذ فسق فتيانكم، وطغى نساؤكم؟ قالوا : يا رسول الله إن^(١) ذلك
 لكائن؟ قال : نعم وأشد، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟
 قالوا : يا رسول الله إن ذلك لكائن؟ قال : نعم وأشد، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر،
 ونهيتم عن المعروف؟ قالوا : يا رسول الله إن ذلك لكائن؟ قال : نعم وأشد، كيف
 بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً، رواه البزار^(٢).

المعنى العام

ابتدأ صلى الله عليه وسلم بالنصيحة في أمور دينهم التي يهتم أمته فكل واحد
 كالراعي يسألون حول من في بيته من نسائه وأولاده وسائر قرابته، ثم نصح بما يفيد تخلية
 النفس فهل نحن قد أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، ثم نبه بما هو أشد ألا وهو ضلال
 الناس بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، ثم ختم رحمة لأمته فبين أن بعض الناس يرون

(١) "وإن" بالواو في المواضع الثلاثة كما في جامع الأصول لابن الأثير المطبوع.

(٢) وهو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، حافظ من العلماء بالحديث، حدث في آخر عمره
 بأصبهان وبغداد والشام، له مسندان أحدهما: كبير سماه "البحر الزاخر"، والثاني: صغير، وتوفي في الرملة سنة
 (٢٩٢هـ). انظر الأعلام.

ولم نجد فيما وقفنا عليه في مسند البزار المسمى بالبحر الزخار، ولعل الصواب "رواه رزين" ليوافق ما في
 بعض نسخ جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير فإنه ذكر الحديث وقال : "أخرجه رزين" (٧٥٠٦)
 (ج ١٠ ص ٤١-٤٢).

المعروف منكراً والمنكر معروفاً، فهذا آخر ما انتهى إليه طغيان الناس، ولم يبين هذه إلا شفقة بهم كيلا يقعوا فيها.

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. فسق الفتيان.
٢. طغيان النساء.
٣. عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.
٥. المعروف منكراً، والمنكر معروفاً.

ما يستفاد منه

خراب العقل نتيجة المقت : ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾
 فالناس الذي صورهم صلى الله عليه وسلم في الحديث ممن لا عقل لهم كيف وقد
 انقلب الأمر الحقيقي عندهم باجتناّب الخير وعد الشر خيراً والخير شراً انقلاباً لا يقبله
 العاقل ولا غيره، فيترب عليه العقاب والمقت من الله جل ذكره؛ لأنهم يقولون بالإيمان ولا
 يفعلون الإسلام الذي هو الانقياد، فما حقيقة إيمانهم إلا كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

الحديث التاسع والثلاثون

عن علي كرم الله وجهه قال : قال (رسول الله) صلى الله عليه وسلم : "من اقترب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأكلوا^(١) الرشى، وشيدوا^(٢) البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفاً^(٣)، والمساجد طرقاً، والحرير لباساً ، وأكثروا^(٤) الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصار المطر قيظاً^(٥)، والولد غيظاً^(٦)، وأمراء فجرة ، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء، وكثر القراء، وقلت الفقهاء ، وحليت المصاحف، وزخرفت^(٧) المساجد، وطولت المنابر^(٨)، وفسدت القلوب، واتخذوا القينات، واستحلت المعازف، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، ونقصت الشهور، ونقصت المواثيق، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء

(١) أي وأخذوا كما في كنز العمال المطبوع.

(٢) تشييد البناء إحكامه ورفعته.

(٣) أي أثواباً. اهـ شيخي.

(٤) "وكثر" كما في كنز العمال المطبوع.

(٥) أي ممتنعاً.

(٦) غاضباً عاقاً على والديه. اهـ شيخي.

(٧) أي زينت. اهـ شيخي.

(٨) أي الخطبة كما تقدم. اهـ شيخي.

البراذين^(١)، وتشبهت النساء بالرجال والرجال بالنساء، ويحلف بغير الله، وشهد^(٢) الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرمًا، والأمانة مغنمًا، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وقرب صديقه، وأقصى^(٣) أباه، وصارت الإمارات^(٤) مواريث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط^(٥)، وصعدت الجهال المنابر، ولبست الرجال التيجان^(٦)، وضيق الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وكثرت خطباء منابرهم، وركن علماءكم إلى ولاتكم، وأحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلّم علماءكم العلم ليجلبوا به دنائيركم ودراهمكم فاتخذتم^(٧) القرآن تجارة، وضيعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمر في ناديككم، ولعبتم بالميسر، وضربتم بالكبر^(٨) والمعزفة والمزامير، والمزامير، ومنعتم محاويجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرمًا، وقتل البريء ليغيظ

(١) جمع البرذونة أي هودج يحره الخيل.

(٢) "ويشهد" كما في كنز العمال المطبوع.

(٣) أي جاف. اهـ شيخي.

(٤) أي الجاه. اهـ شيخي.

(٥) أي التصدر. اهـ شيخي.

(٦) أي الحرير. اهـ شيخي.

(٧) "واتخذتم" كما في كنز العمال المطبوع.

(٨) بفتح فكسر أي الطبل.

العامّة^(١)، واختلفت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط^(٢)، وطف^(٣) المكائيل والموازن ، ووليت أموركم^(٤)، رواه الديلمي^(٥).

المعنى العام

جمع الحديث كل أنواع من أشرط الساعة من أخف المعاصي إلى أشدها بداية من إضاعة الصلاة إلى حيث ما انتهى الذكر، ونسأل الله العافية والسلامة، وإنا لله وإليه راجعون.

دلالة الحديث بالنسبة لأشرط الساعة:

١. تضييع الصلوات والأمانات.

٢. استحلال الكبائر.

٣. أكل الربا والرشى.

٤. رفع البناء.

(١) "بقتله" ساقط من النسخ، وهي موجودة في كما في كنز العمال المطبوع.

(٢) أي كل من لا يلتحق بملحق الكرام.

(٣) أي نقصت.

(٤) "السفهاء" فاعل وليت ساقط من النسخ، وهي موجودة في كنز العمال المطبوع قال السيوطي فيه : "أبو الشيخ في الفتن وعويس في جزئه والديلمي".

(٥) وهو أبو منصور شهردار بن شيروية بن شهردار الديلمي الهمداني من أهل همدان يتصل نسبه بالضحاك بن فيروز الديلمي الصحابي، له "مسند الفردوس"، توفي رحمه الله سنة (٤٨٣ - ٥٥٨ هـ). الأعلام.

٥. اتباع الهوى.
٦. بيع الدين بالدنيا.
٧. اتخاذ القرآن آلة موسيقيا.
٨. اتخاذ جلود السباع صفاً.
٩. جعل المساجد جلسة اللهو.
١٠. لباس الحرير للرجل.
١١. فشو الزنا.
١٢. التهاون بالطلاق.
١٣. ائتمان الخائن لا الأمين.
١٤. صيرورة المطر قيظاً، والولد غيظاً.
١٥. فجور الأمراء، وكذب الوزراء، وخيانة الأمناء، وظلم العرفاء.
١٦. قلة العلماء والفقهاء.
١٧. تحلية المصاحف، وتزيين المساجد.
١٨. فساد القلوب.
١٩. كثرة المغينات، واستعمال المعازف، وشرب الخمر.
٢٠. تعطيل الحدود.
٢١. نقص الشهور أي سرعتها.
٢٢. نقض المواثيق.
٢٣. مشاركة المرأة زوجها في التجارة.

٢٤. ركوب النساء البراذين أي كونها والية للأمر.
٢٥. تشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء.
٢٦. الحلف بغير الله.
٢٧. شهادة الرجل من غير أن يستشهد.
٢٨. الزكاة كالمغرم، والأمانة كالمغرم.
٢٩. طاعة الرجل امرأته، وعقوقه أمه، وقربه صديقه، وبعده عن أباه.
٣٠. الإمارات بالارث.
٣١. سب المعاصرين أقدامهم.
٣٢. إكرام الرجل اتقاء شره.
٣٣. كثرة الشرط.
٣٤. صعود الجهال المناير.
٣٥. لبس الرجال التيجان.
٣٦. ضيق الطرقات.
٣٧. اللواط والسحاق.
٣٨. كثرة الخطباء.
٣٩. ميل العلماء إلى الولاة.
٤٠. تحليل الحرام، وتحريم الحلال.
٤١. الفتوى بالهوى.
٤٢. تعلم العلم للدنيا.

- ٤٣ . ضياع حق الله في الأموال.
- ٤٤ . استيلاء الأموال عند الأشرار.
- ٤٥ . قطع الأرحام.
- ٤٦ . لعب الميسر.
- ٤٧ . قتل البريء ليغيظ العامة.
- ٤٨ . اختلاف الأهواء.
- ٤٩ . كثرة الأموال فيصعب دفع الزكاة إلا لعبيده.
- ٥٠ . تطفيف المكيال والميزان.
- ٥١ . تولية السفهاء أمور المسلمين.

ما يستفاد منه

من الأشياء التافهة

معنى الحديث ننبه لنا أن الفسق ولو قليلاً أدى إلى أشياء عظام، فما لنا في الختام إلا أن نتذكر بها اعتناء واهتماماً لأمر ديننا عسى أن نخرج الكساد الذي عبره صلى الله عليه وسلم عن نوع من أشرط الساعة.

أولويات الفقه

كما نبه الحديث أولويات الفقه فالناس يزينون المساجد فهل يسجدون فيها؟ فهل أدوا حقوق الفقراء؟. ثم ما سمعناه كثيراً من اللغو في الكلام فيحلف لأشياء تافهة بغير الله، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفاً فليحلف بالله"^(١)، ويشهدون عند المحكمة بغير طلب، ووجدنا من الأمراء كذلك نعي أنهم ظالمون؛ لأنهم أخذوا الرئاسة والولاية لا بالتولية الصحيحة بل بالإرث، وذلك بتولية القرابة في المناصب، إلى أن انتهى ميل العلماء إلى الولاية ويكونون تحت نظرهم لا هم الذين ينصحون الولاية.

(١) متفق عليه.

الحديث الأربعون

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال : صدقت، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال : فأخبرني عن الإيمان؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى^(١)، قال : صدقت، قال : فأخبرني عن الإحسان؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال : فأخبرني عن الساعة؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال : فأخبرني عن أمارتها؟ قال : أن تلد الأمة ربتها^(٢)، وأن ترى الحفاة العراة العالة^(٣) رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، ثم انطلق فلبث ملياً^(٤)، ثم قال^(٥) : يا عمر أتدري من السائل؟ قلت :

(١) قوله من الله إدراج. اهـ شيخي.

(٢) أي أن تحكم البنت على أمها حكم السيدة من كثرة العقوق.

(٣) أي الفقير.

(٤) أي زماناً أي ثلاث أيام كما في رواية.

(٥) "قال : ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي : يا عمر... كما في صحيح مسلم المطبوع.

الله ورسوله أعلم، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم^(١)، رواه البخاري ومسلم^(٢). والله أعلم. وصلى الله على نبيه الأكرم وعلى آله وصحبه وسلم.

المعنى العام

نزل سيدنا جبريل عند النبي صلى الله عليه وسلم متمثلاً برجل من بني آدم وسأل ما هو الواجب للمسلمين ألا وهو فهم معنى الإيمان والإسلام والإحسان فحدثه صلى الله عليه وسلم بعقائد تدل على أن الأول في القلب، وحدث بأعمال مشهورة مما تدل على أن ارتباط المخلوق بالخالق لا يكون إلا بدليل، وهو مصداق وتصحيح اقترانه تعالى في مواضع من القرآن بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وسأل عن الإحسان والساعة مما يدل على أن المراقبة والخوف من شأن المسلمين الأصفياء العارفين الفارقين بين اللفظ والمعنى أقصد الظاهر والباطن، ومن أراد أن يسلك طريق الأولياء فعليه المراقبة والأخذ بالتقوى، وبتذكير القيامة وأشراتها يتقرب العبد إلى رب البرايا، فقد ذكر صلى الله عليه وسلم مراقبة الله وذكره وأشرط الساعة، ومن أراد تفصيل ومفردات الحديث فليراجع شروح الصحيحين.

(١) ويسمى حديث جبريل.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر (رقم : ٨) (ج ١ ص ٢٣-٢٤)، وروى نحوه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان (رقم : ٥٠) (ج ١ ص ٣٣).

دلالة الحديث بالنسبة لأشراط الساعة:

١. عقوق الوالدين خاصة من النساء.
٢. كثرة الثياب مع كشف العورة.
٣. كثرة الأموال من البوادي بتناول البنيان.

ما يستفاد منه

أركان الإسلام

لقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به أن الإسلام هو الشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة. فهذه الأركان متلازمة مع الإيمان، فهو كشرط للإيمان، ولهذا عطف الله تعالى في كتابه العزيز الإيمان بالإسلام مما يدل على أن الإسلام دليل الإيمان فقال مثلاً: ﴿إِنَّ الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة : ٢٧٧) في عشر مواضع.

حج البيت لمن استطاع اتفقوا عليه؛ لأنه لا تأتي أن تكون المسافة البعيدة لكل

فرد من المسلمين من ناحية العالم البعيدة.

أركان الإيمان

هذا هو شرط جميع أعمال العباد، وقد نص أيضاً في القرآن أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فمن كفر بإحدى هذه الأركان فقد ضل ضلالاً مبيناً، ونص في مواضع عدة أن من لا يؤمن بالقدر خيره وشره من الله عز وجل وأنه خلق الناس وما يعملونه. ومن يكفر به فسيريه الله خسراً مبيناً.

حد الإحسان

الإحسان من باب الفعل المتعدي أي أن الإحسان فعل شيء ينتفع به صاحبه وغيره، وفي العبادة لله عز وجل هو ليس بمجرد التعبد بل لا بد من الخشوع وأن العبد إن يعبد الله فكأنه يراه مراقبة يفيد الخشوع والخصوع والإخلاص لما نواه. وأنه إن لم يكن يراه فإنه يراه علماً محيطاً بالعبد.

إباحة بيع أمهات الأولاد

استدل بالقرينة المذكورة على جواز ذلك، وهي تسليط البنت على أمها مما يدل على إباحة الانتفاع بأي شيء ولو بما يزيل الملك، ورده النووي في شرح مسلم؛ لأن القرينة غير صريحة، ولأنه ليس كل ما أخبره صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة محرماً ولا جائزاً.

الساتر الذي يبدي ما تحته تقدم البحث في حديث "كاسيات عاريات".

الخروج إلى البادية

استفدنا من نزول جبريل إلى الأرض لسؤال وتعليم ما يهم دين شخص كمسلم أهمية الخروج والتحول إلى البادية من أناس مسلمين لا يعرفون أمور دينهم ولا استطاعوا أن يرحلوا إلى بلد العلم، وهذا واقع كثير أحوال المسلمين الآن.

تم تصحيح وتحرير البحث في آخر شهر جمادى الأولى ١٤٣١ / أبريل ٢٠١٠

تم التصحيح ثانياً تاريخ ١٥ يناير ليلة الجمعة عام ٢٠١٤ هـ الموافق ٢٥ من ربيع الأول عام ١٤٣٦ هـ

تم التصحيح ثالثاً مع شيء من التخريج والتأصيل للأحاديث تاريخ ١٤ شوال ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٧ يوني ٢٠١٨ م.

((الفهارس العامة))

الرقم	الموضوع	الصفحة
١	نبذة عن الشيخ.....	٣
٢	مقدمة التحقيق.....	٥
٣	خطة البحث.....	٧
٤	تمهيد.....	٩
٥	مقدمة المؤلف.....	١١
٦	الحديث الأول.....	١٣
٧	الحديث الثاني.....	١٩
٨	الحديث الثالث.....	٢٣
٩	الحديث الرابع.....	٢٧
١٠	الحديث الخامس.....	٣٢
١١	الحديث السادس.....	٣٥
١٢	الحديث السابع.....	٣٨
١٣	الحديث الثامن.....	٤١
١٤	الحديث التاسع.....	٤٣
١٥	الحديث العاشر.....	٤٦
١٦	الحديث الحادي عشر.....	٤٩
١٧	الحديث الثاني عشر.....	٥٣
١٨	الحديث الثالث عشر.....	٥٥
١٩	الحديث الرابع عشر.....	٥٨
٢٠	الحديث الخامس عشر.....	٦٢
٢١	الحديث السادس عشر.....	٦٤

٢٢	الحديث السابع عشر.....	٦٧
٢٣	الحديث الثامن عشر.....	٧١
٢٤	الحديث التاسع عشر.....	٧٤
٢٥	الحديث العشرون.....	٧٦
٢٦	الحديث الحادي والعشرون.....	٧٨
٢٧	الحديث الثاني والعشرون.....	٨٣
٢٨	الحديث الثالث والعشرون.....	٨٩
٢٩	الحديث الرابع والعشرون.....	٩٣
٣٠	الحديث الخامس والعشرون.....	٩٦
٣١	الحديث السادس والعشرون.....	٩٧
٣٢	الحديث السابع والعشرون.....	١٠٠
٣٣	الحديث الثامن والعشرون.....	١٠١
٣٤	الحديث التاسع والعشرون.....	١٠٣
٣٥	الحديث الثلاثون.....	١٠٤
٣٦	الحديث الحادي والثلاثون.....	١٠٦
٣٧	الحديث الثاني والثلاثون.....	١٠٩
٣٨	الحديث الثالث والثلاثون.....	١١١
٣٩	الحديث الرابع والثلاثون.....	١١٣
٤٠	الحديث الخامس والثلاثون.....	١١٥
٤١	الحديث السادس والثلاثون.....	١٢١
٤٢	الحديث السابع والثلاثون.....	١٢٣
٤٣	الحديث الثامن والثلاثون.....	١٢٦
٤٤	الحديث التاسع والثلاثون.....	١٢٨

١٣٤ الحديث الأربعون	٤٥
١٤٨ الفهارس العامة	٤٦
